الشيخ
ياسين حسن عيسى العاملي

الخطوط العامة
لبنية الفرد الاجتماعية

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

الخطـوط العامــة

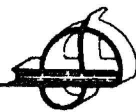
لبنية الفرد الاجتماعية

الخطـوط العامــة

لبنية الفرد الاجتماعية

الطبعة الاولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٢٤٢٦٥ - ٣١١٤٢٥ - تلكس: ٢٠٧٧٧ MCS - ٢٢٥٩٧ بلاغ.

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

وصلى الله على محمد وآل بيته الطيبين المطهرين من كل دنس الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً وله الحمد على عظيم ما أنعم علينا فإنها نعم لا نقدر أن نحصيها وقد ابتدأها من غير سؤال ولم يمنعها مع كثرة الموبقات والمعاصي رحمة بنا ورأفة.

أما بعد... فهذه الأفكار التي عرضتها في هذه الأوراق عبارة عن مجموعة مفاهيم التمستها من وحي القرآن الكريم وأحاديث بيت العصمة وهدي العقل والوجدان رأيتها من أمهات المطالب التي تشكل عصب الحياة الاجتماعية للفرد في سلوكه الكادح إلى الله بحيث يحيى في الدنيا بنفحات خيرةٍ للبشرية بعد أن يكون قد أتعب نفسه أدباً وتهذيباً بين يدي الله في مملكته والذي يصب في مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة لأن الله هو الذي خلق الإنسان وشرّع له من الأحكام ما تضمن له مصالحهُ وتبعده عن مفاسده وطالما لا يدركهما، فإذا ما التزم بها كان في الدنيا على هدى الله سائراً في ضمن ما هو أسلم له وللمجتمع وأنفع، ويكون بذلك قد حصَّل الزاد ليوم المعاد بين يدي أحكم الحاكمين.

وقد اتبعت في ذلك عرض هذه المواضيع من دون إطالة مهما أمكن، ومتحرياً جوانبها السلبية أو الإيجابية باذلاً الوسع في تقبيح الجانب السلبي مع عرض المرغبات في الجانب النافع الإيجابي ملتمساً في كل ذلك النظرة الوجدانية للمسألة عرضاً وتحليلاً، إلا أنني لم أدَّع احصاء كل ما هو مهم في بناء الشخصية للفرد اجتماعياً بل لعلني قد فاتني ما هو أساسي في ذلك، ودونت هذه المسائل وقد كانت لي عبرة وعسى أن تكون محطاً للاستفادة وتقرباً إلى الله سبحانه، ومن هو مثلي بحاجة إلى ما يعدِّل حسابه ويزيد في ثوابه وما التوفيق إلا على الله سبحانه.

ياسين حسن عيسى العاملي

تمهيد

حول الآداب وآثارها

تمهيد

العقل يدرك قيمة ما أكدته الشرايع الإلهية من قوانين حول الأدب والإتزان والتهذيب والتي لها من دون شك الدور الأكبر في تصاعد الإنسان على مدارج الكمال والتي بها اتصف الإنسان بالإنسانية لا الحيوانية في هذه المملكة الإلهية، كما أن لها الدور البارز والأثر الكبير على العقيدة والمنهج المتبع وكمْ من شخص حببَّ الدين إلى الناس وكم من شخص قد كرّه الناس بعقيدته لسلوكه السيء وسيرته المنكرة كما قال الإمام العسكري (ع): (اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح)[1] والسالك بحر الأدب في عالم الخُلُق سوف يكون منطلق ابحاره ومنتهى حركته هذه هو الأدب بين يدي الله سبحانه بالأصالة ثم الأدب مع الناس وفي المجتمع بالتبع، بل الأدب مع الناس هو مطلب إلهي أمر الله به بل لا يمكن انفكاك الأدب مع الناس عن الأدب مع الله جل وعلا، لأنه من تأدب مع الناس وكان سيء السيرة مع ربّه حقيق بأن يبقى في عداد سيئي الأدب ولو قال عنه كل الناس أنه المؤدب الخلوق ومن المعروف أن من دخل ضيفاً واحترم الضيوف أمثاله وتجاهل صاحب البيت وأهانه فإنه يقال إنه أساء الأدب حتى لو قام بكل اللياقات الاجتماعية مع الآخرين وكذلك الحال في حق من أحسن الأدب مع الناس وتلطف معهم وكان يتجنب كل ما

---

(١) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢٤١.

يحتمل أنه منفِّر لهم ومع ذلك يتنكـر لصاحب المملكة الله رب العالمين الذي هو ولي كل نعمة فهو السيء الأدب والخلق وإن مدحه كل الناس، لأن المتخلق بالخلق الحسن هو بلحاظ الواقعِ لا بلحاظ ما يقال ومن هنا يتبين لنا أن الإنسان المتكامل والمتحضِّر هو الذي عرف نفسه وعرف ربّه ووقف عند حدِّه يزن أعماله وكل تصرفاته متحركاً ضمن الهدف الذي اقتنع به ورسمه لحياته وآخرته وبذلك يكون قد أحرز السعادتين عيش رضي في الدينا ونعيم أبدي في الآخرة.

وبين يدي البحث مفاهيم عامة من وحي الواقع أراها تشكل أهم الأسس في صقل شخصية الفرد التكاملية على صعيد ذاته وعلى مستوى علاقاته الاجتماعية، فتحتاج إلى التذكير بها ورسم معالمها والتدقيق في بعض صورها خصوصاً أن الإنسان قد يطوي السنين من عمره وهو غافل عن مثل هذه العوامل المهمة في شخصيته وقد ألهاه حب الدنيا ومغرياتها أو اتكل على أناس ضيعوه بعد أن ضاعوا أو تنكر لأهل الورع والحكمة فجانبهم لعدة أسباب هي في الغالب تعود إلى تقصيره أمام نفسه وأمام الله والمجتمع.

وينبغي التسليم بأمرٍ وهو إن الاطلاع العلمي على بعض الآداب، ليس هو العلة في احداث التغيير في الفرد، بل يفتقر الى العناية بالتربية العملية منذ الصغر وقد لا يكفي ذلك أيضاً، اذا ما كان الشارع مملوء بالفساد الخلقي والانفلات من القيم، بحيث كانت وسائل الاعلام المفسدة آخذة بدورها الفعال ومنتشرة في كل زاوية وعلى كل جدار علاوة عن الإعلام المرئي والمقروء، وهذه سوف تشكل رقماً كبيراً في العد العكسي التربـوي، ورب مشهد تلفزيوني ولو كان لدقائق، له أثرُهُ بنحو أقوى من محاضرة في الاخلاق والتربية، وعندئذ وبهذا الواقع تكون التعاليم التربوية بمثابة المهدىء لمشاكلنا لا العلاج الجذري وان كانت علاجاً فهي معالجة بطيئة الخطى.

الإنسان وأصالة الفطرة

إن النفس التي هي حقيقة الإنسان فطرت وجبلت على قواها الأربع[١]: قوة عقلية مَلَكية وقوة غضبية سبعية وقوة شهوية بهيمية وقوة وهمية شيطانية.

وشأن الأولى إدراك حقائق الأمور والتمييز بين الخير والشر والأمر بالفعل الحسن والنهي عن الفعل القبيح.

وشأن الثانية إنها موجبة لصدور أفعال السباع مثل الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بأنواع الأذى.

وشأن الثالثة إنها موجبة لصدور أفعال البهائم مثل عبودية الفرج والبطن.

وشأن الرابعة إنها موجبة لاستنباط وجوه المكر والحيل والخداع وتلبيس الحقائق والإغراء.

فإذا انقهرت القوى الغضبية والشهوية والشيطانية لقوة العقل العملي تحت إشارة العقل النظري[٢] حصلت قوة العدالة وعندئذٍ ينتهي

(١) بداية الأخلاق ص ١٧ ـ ٢١.

(٢) العقل العملي هو ادراك العقل للفعل الحسن أنه ينبغي أن يفعل وللفعل القبيح أنه لا ينبغي أن يفعل والعقل النظري يقتصر على أنه ينبغي أن يدرك أو أنه لا ينبغي أن يدرك .

التخالف بين هذه القوى الأربع ويرتفع التجاذب ويكون لكل قوة عندئذٍ الفضيلة والحسن، والملحوظ أن أنفسنا دائماً في محل تنازع بين هذه القوى الأربع حتى يغلب عليها إحداها، والصراع النفسي يعود إما إلى الإعتدال وإما إلى الرذيلة المتمثلة بغلبة القوى الغضبية والشهوية والشيطانية على القوة العقلية وعندها تحجب هذه النفس عن معرفة الواقع والحق، وهنا يأتي دور الوصايا الدينية سواء في الأحكام الشرعية أم في الأحكام الأخلاقية لتخفف من وطأة هذه القوى الرذيلة ولترجع النفس إلى الإعتدال والتوازن.

قال العلامة الطباطبائي[1]: اعتبار التقوى لرد النفس الإنسانية المدركة إلى استقامتها الفطرية...

والإنسان لا يتم له معنى الإنسانية إلا إذا عدّل قواه المختلفة تعديلاً يورد كلاً منها وسط الطريق المشروع لها...

والمعارف الحقة والعلوم النافعة لا تتم للإنسان إلا إذا صلحت أخلاقه وتمت له الفضائل الإنسانية القيمة وهي التقوى...

نعم ها هنا حقيقة قرآنية لا مجال لإنكارها وهي أن دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية وتقرّبه إلى ساحة القدس والكبرياء يفتح له باباً إلى ملكوت السماوات والأرض يشاهد منه ما خفي على غيره من آيات الله الكبرى وأنوار جبروته التي لا تطفأ... وقد قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين...**﴾.

وفي قوله تعالى ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[2].

---

(١) الميزان ج ٥ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ بتصرف قليل.
(٢) الروم آية ٣٠.

قال العلامة الطباطبائي[1]: (الإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضرّه في حياته قال تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾** وهو مع ذلك مجهز بما يتم له به ما يجب له أن يقصده من العمل قال تعالى **﴿ثم السبيل يسره﴾**).

وقال: («فطرة الله» منصوبة على الإغراء أي إلزمْ الفطرة، ففيه إشارة إلى أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له هو الذي تهتف به الخلقة وتهدي إليه الفطرة الإلهية التي لا تبديل لها). انتهى كلامه.

ومن هذا يظهر أن الإنسان إذا ما أراد الهداية عليه أن يزيح ما علق على هذه النفس من حجب وستائر لتتجلى الفطرة بأصالتها وكما هي ليتأتى عندئذٍ الوصول إلى حقائق الأمور.

ويمكن القول إن الإنسان إذا ما رجع إلى أصالته الفطرية يكون أقرب ما يتصور إلى الواقع وأما لو لم يقدر على ذلك فإنه سيبقى فريسة الضياع مدى عمره، ولا يعني ذلك أن الفطرة هي العلة الوحيدة للهداية بل المراد أن الفطرة بوضوحها وجلائها تكون من أهم العوامل المساعدة على الهداية والوصول إلى الواقع قال الإمام الخميني[2]: (ميزان العرفان والحرمان هو الدافع كلما كانت الدوافع أقرب إلى نور الفطرة. . . أكثر تحرراً من الحجب حتى حجب النور. . تكون أكثر ارتباطاً بمبدأ النور إلى حيث يصبح الكلام عن الارتباط كفراً).

وبتعبير آخر: إن الإنسان إذا ما حافظ على سلامة الفطرة يكون قد احتفظ بالملاكات التي لأجلها سمي إنساناً ويسعى بعد ذلك إلى سلوك درجات الكمال، لأنه بالسلامة والوضوح الفطري يعرف الله ويتمم

(١) الميزان ج ١٦ ص ١٧٨.
(٢) بلسم الروح ص ١٨.

نواقصه ويرفع حوائجه ويعرف ما يضره وما ينفعه ويقدر على تحديد مقاصد أعماله، فإذا ما جاهد نفسه وتعلق برحمة الله وسعى جاداً في ذلك فتح الله عليه أبواب لطفه ورحمته وهدايته كما قال سبحانه وتعالى **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين..﴾** وهذه تدل بصراحة تامة على أنّ السير الإختياري في طريق التكامل - والتي هي تقرب الإنسان إلى ساحة القدس والكبرياء والسعي إلى الله سبحانه - نتائجه على الله سبحانه الذي كتب على نفسه الرحمة والهداية كما قال سبحانه **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**[1].

وعندئذٍ نخرج بالنقاط التالية:.

النقطة الأولى: إن كمال الإنسان هو في سيره الاختياري إلى الله وإظهار حسن العبودية بين يديه تعالى، فبأختياره يعبد الله الذي تميل إليه النفس بفطرتها.

النقطة الثانية: إن لنور الفطرة هداية للإنسان فإذا اكتملت مع هداية الله أصبح الإنسان من سالكي سبل الكمال المشار إليه أو فقل هداية الله فرع اهتداء الإنسان الاختياري، والله لا يأخذ بيد الانسان نحو التكامل الا بعد أن يختار السير على هدى الفطرة.

النقطة الثالثة: إن رفع الغشاوة والحجب الحاصلة على النفس الإنسانية الناطقة والمدركة ممكن وإلاّ لما صح توجيه الإنذار إلى من هو خارج عن حدِّ عبودية الله تعالى ولما صحّ إرسال الرسل وإنزال الحجج، وعليه لا يصح قطع الأمل ممن ضل الطريق وأخطأ السعي إلى الله كما إنه لا يصح من الإنسان المؤمن أن يغتر بإيمانه إذ لعله ينقلب على عقبيه ويصير على غير تقىً.

النقطة الرابعة: إن دين الله تهدي إليه الفطرة الإلهية المودعة في

---

(١) النور آية ٤٠.

الإنسان وعليه لا يكون المتدين هو المستغرب المورث للعجب لأنه الإنسان المتكامل في إنسانيته السائر على أصل فطرته المرتمي في أحضان عبودية الرب الذي أنعم وأعطى وخلق وأبدع وشرَّع بل المستغرب هو الفرد الشاذ عن هذه القاعدة الخارج عن هذه الأصول المتنكر لمعالم الفطرة المرتمي في أحضان غروره وأمانيه الخارج عن الأدب بين يدي المنعم الخالق المتفرد بالعطاء والإبداع.

النقطة الخامسة: إن الهداية الإختيارية تحصل نيتجة الصراع بين قوى النفس وهذا هو المسمى بالجهاد الأكبر فإن غلب العقل على سائر القوى اعتدلت تلك القوى وأورثت مكارم الأخلاق وفضائل العادات ولا يكون ذلك إلا بالمجاهدة والترويض فإن غلبة القوة الإدراكية وتأثيرها على سائر القوى لا يكون بالأمر السهل، كالغضوب الذي غلبت عليه القوة السبعية لا يترك الغضب إلاّ بعد اتباع أوامر العقل المرغبة بتركه والمنفِّرة من سيئاته مع الحرص على استعمال الغضب في محله كما في حرب الأعداء أو في مقام التغلب على الكسل، وعندئذٍ كلما توفرت ظروف الغضب يكون العقل بالمجاهدة هو المانع منه بعد ادراك المفاسد التي لا تحمد عقباها في العلاقات الاجتماعية، والوضع النفسي للفرد.

النقطة السادسة: إن وجود نور الفطرة في الإنسان لا يلزم منه كون كل الناس مؤمنين مع إن وجود أهل الضلال لا يلزم منه عدم وجود نور الفطرة هذه لما تقدم من الإشارة إليه من وجود العوامل المانعة من ممارسة الفطرة لدورها الطبيعي والتي تحجب النفس عن ادراك واقع الأمر فيخيل إليها ما ليس بواقع وكأنه الواقع.

الإنسان والأخلاق

الخُلُق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية.

والأخلاق بجانبيها النظري العلمي والعملي التطبيقي وسواء كانت بعناوينها الأولية كالصفح الجميل أم كانت بعناوينها الثانوية كالكذب فإنه قبيح ولكن لو أخذ طابع الإصلاح بين المتخاصيمن فهو حسن وكالتكبر فإنه قبيح بحد ذاته إلا أنه إذا اتصف بحالة حسنة يصير حسناً كما ورد في الحديث التكبر على المتكبر هو التواضع فهذه الاخلاق قد حظيت بأهمية عالية عند الشرائع الإلهية وبالخصوص الإسلام العزيز، وما ذلك إلا لحساسية موقع الأخلاق في بناء شخصية الفرد والمجتمع.

ويتلخص دور الأخلاق في الجوانب التالية:

١ - إن الأخلاق هي الضابط العام لرجوع الإنسان إلى واقعه الإنساني المفطور عليه من العدالة والرحمة وشكران الجميل والنظام والشجاعة، إلى غير ذلك فإذا ما حدث للفرد انحراف عن البنية الإنسانية فالأخلاق وقوانينها قد تكفّلت بإرجاعه إلى واقعه وإعادته إلى إنسانيته بشرط التقيد بتلك القوانين ومراعاة تطبيقها، فالسارق لأموال الناس لا خلاص له من هذه الرذيلة إلا بالرجوع إلى قوانين هذا الفن، الذي تعرض لكل جوانب الفضيلة وما يقابلها من الجوانب الرذيلة مبيناً لكيفية

التخلص من شواذ العادات ورذائل الأخلاق وكفى بذلك أهمية.

٢ ـ إن للأخلاق دور مهم في ارتباط العبد بربه وتعرّفه على مولاه بل عمدة هذا الارتباط هو الأخلاق الحسنة، والمؤمن هو ذاك الخلوق المدرك الذي عرف حدّه فوقف عنده وعرف جميل الصنع والنِعَم التي لا تحصى والتي ابتدأها المولى من غير سؤال ولا استحقاق فأدت هذه المعرفة إلى وقوفه وقفة العبد المؤدب والمهذب بين يدي ولي النعمة وجبار السماوات والأرض بل القانون الأخلاقي المسمى بقانون «وجوب شكر المنعم» يرشدنا إلى معرفة الله سبحانه ومحصَّله: إن الإحسان لا بد أن يقابل بالإحسان وأن النعم تجازى بالشكر، سواء قلَّت هذه النعم أم كثرت، والشكر له مراتب ودرجات لأنه يختلف بحسب الأشخاص والمقامات فشكر المرأة بهدية تناسب حالها وشكر الرجل بهدية تناسب حاله وهكذا، وحتى يقع الشكر في محله متناسباً مع المقام لا بد من معرفة المشكور ومن دون معرفته لا يتحقق الشكر المطلوب في محله وقد يتحول إلى ضده بل قد يصير اهانةً مذمومةً بدل أن يكون جميلاً محبوباً. والحال شكر الله جل شأنه يختلف عن شكر أي منعم آخر فإن شكرالمولى خالق الخلق وصاحب الرزق الحنان المنّان لا يكون إلا بعبوديته والإنضواء في طاعته والركوع لهيبتيه و السجود لعظمته وعدم مخالفة أوامره، وما ذلك إلا لأنه سبحانه وليّ كل نعمة وصاحب كل حاجة نتقلب في ملكه ونرتع في رزقه ونتنعمٍ في كرمه وهو القوي الذي لا يقهر والغني الذي لا يفتقر والجواد الذي لا يبخل والمبتدىء للنعم قبل استحقاقها يفعل ما يشاء بخلقه بما يتناسب مع الحكمة والعدل كما قال سبحانه ﴿**قتل الإنسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدَّره ثم السبيل يسّره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره**﴾[1].

---

(١) سورة عبس.

وقال سبحانه ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخّر لكم الفُلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار، وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار﴾[1] وبغير عبادته سبحانه لا يتحقق الشكر المتناسب مع كرمه وكبريائه جل وعلا.

٣ ـ إن للأخلاق دور في تهدئة التوتر الإجتماعي الناشيء نتيجة الإختلاط بني بين الإنسان ونتيجة التباين فيما بينهم بالمفاهيم والإدراكات فإن الأخلاق هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يعيش الإنسان حياةً اجتماعية واقعية هادئة نتخلص بواسطتها من الاضطراب في كل العلاقات العامة ومن هنا نرى شمولية القوانين الأخلاقية لمسائل السياسة والإدارة والاقتصاد والفكر.

ففي الحرب

قال أمير المؤمنين (ع) «فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا مُعْوراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم »[2].

وفي العلاقات الاجتماعية:

قال الله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[3].

---

(١) ابراهيم آية ٣٢ ـ ٣٣.
(٢) من وصايا الامير في نهج البلاغة شرح محمد عبدة ج ٣ ص ١٤ ـ ١٥. طباعة دار المعرفة.
(٣) الاعراف آية: ١٩٩.

وفي الادارة والسياسة:

قال أمير المؤمنين (ع): «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلّة ولا يحصر من الفيْء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم»[1].

وفي الاقتصاد والضمان:

قال أمير المؤمنين: «فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع المتباع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه نكِّل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعاً ومُعْتَرّاً واحفظ لله ما ستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد»[2].

في حين أن مفهوم الأخلاق ودوره لا ينافي قانون العقوبة في الإسلام، فإن العقوبة حق قانوني كما في العين بالعين إلا أن الأخلاق تشجع على التسامح وترك الاقتصاص طلباً لمرضاة الله وطمعاً بما عند الله من الثواب الجزيل، قال تعالى: **﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**[3] وقال تعالى **﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن**

---

(١) العهد لمالك الاشتر في نهج البلاغة شرح محمد عبدة ج ٣ ص ٩٤ طباعة دار المعرفة.
(٢) شرح محمد عبدة ج ٣ ص ١٠ دار المعرفة.
(٣) البقرة: ٢٣٧.

يغفر الله لكم﴾[1]فالمفاهيم الأخلاقية وقوانين العقوبة أمران كلٌ له مجاله وموضوعيته، فإن السارق يجب أن يضمن ما سرق إلا أنه لو سامحه ولي المال فله ذلك، وقانون العقوبات راجح شرعاً وعقلائياً وعند كل الأعراف وفي كل الأزمان وإن اختلفوا في كيفية العقوبة، بل العقوبة كعقوبة القتل فيها حياة للناس والمجتمع نتيجة اقتلاع عنصر الشر من بينهم وكما في تأديب السارق بقطع يده والزاني برجمه إن كان محصناً.

قال سبحانه **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾**[2].

ومن هذا كله يظهر لنا البعد لما ذكره الرسول الأكرم حيث حصر البعثة في إتمام مكارم الأخلاق بقوله إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فإنه يبرز دور الأخلاق الفعال والشمولي لكل المجالات التي يتحرك فيها الإنسان.

ويمكن بعد هذا العرض نفهم حقيقة هي:

إن الإسلام يهدف من خلال التعاليم الأخلاقية إلى بناء الإنسان وصقله بقالب الأخلاق بحيث يمكن القول: إن المتدين هو الخلوق، وإذا ما فقد عنصر الأخلاق لم يتكامل فيه الإسلام. كما يمكن القول: إن من فقد التديُّن غير خلوق واقعاً وإن عُدَّ في الظاهر خلوقاً، كما تقدم في التمهيد، والكلام حول الخلوق المتلبس بالاخلاق اذ لا يكفي في هذا التلبس التمسك ببعض الأخلاق دون بعضها خصوصاً فيما ترك الاخلاق مع الله تعالى التي هي الاصل. وليس الكلام عن الخُلُق بما هو فإنه حسنٌ حتى لو صدر من عديم الاخلاق وعديم العقل وله آثاره كارتياح النفس مثلا، فالمطلوب بالأخير هو التدين والاخلاق.

---

(١) النور: ٢٢.

(٢) البقرة: ١٧٩.

الإنسان والارادة الواعية

الارادة هي عالم الشوق أو البغض المسبب لصدور الأفعال من الانسان أو تركها.

وبما أن الإنسان هو المخلوق الذي عرضت عليه الأمانة والخلافة لله في أرضه والذي خلقه الله سبحانه من أجل أسمى غرض وهو الوصول إلى العبودية لله بملء ارداته نتيجة الوعي الفكري لحقائق الأمور، فاصبح منسجماً مع واقعه لأنه بدون ذلك يفرغ من محتواه ويصبح كبقية الحيوانات التي تعيش لكي تأكل وتتناسل، فهذا الإنسان يتكامل بإنسانيته نتيجة الفكرة الحرة والإرادة الواعية، أو فقل: الإنسان المتكامل بعقيدته الشاملة حول الحياة ابتداءً ومنتهىً. وهذا مما يشهد لـه أدنى تأمل في حقيقة الإنسان المزود بالعقل والإرادة. ولذا نفرِّق بين إنسانٍ يعرف لماذا خُلِق ومن خلقه وماذا أراد منه الخالق فأطاع مولاه وخاف معصيته ورجا الثواب الذي وعده إياه.

وبين إنسانٍ آخر لا يدري لماذا خلق ومن خلقه وماذا أراد منه يعيش كبقية الحيوانات.

وبين إنسانٍ ثالثٍ يعرف هذه الأمور إلا أنه يتنكر لأوامر مولاه الواجب الطاعة متعرضاً لسخطه مُتَهاملاً بالثواب الذي أُعِدَّ له، ولحكمنا من غير شك أن الأول هو الإنسان المتكامل السائر على بصيرة من عقله المتوازن بين حظه في الدنيا المحدود وبين حظه في الآخرة المستمر

والأبدي كما أخبر بذلك أصدق الصادقين.

ولكن لا يصل الإنسان إلى هذه المرحلة إلا بعد امتلاك الرأي الحرّ والإرادة الجازمة من دون أي تبعية للغير أو أي تأثر بالآخرين ومن هنا شرط الاجتهاد في الأصول الاعتقادية للدين ومنع التقليد فيها بمعنى أن الإيمان بالمبدأ وهو الله سبحانه وبرسله وأوليائه والمعاد لا بد أن يكون كل ذلك بالدليل الراجح البيِّن والقناعة التامة ومن هنا يمكن القول: إن الإنسان الحرّ العاقل هوالإنسان الذي تحرّر في اعتقاده وقناعاته وأقام الدليل والبرهان عليها وقال بملء ارادته هذه قناعتي وهذا اعتقادي.

وأما الذي يخاف مِنْ ابراز واظهار قناعاته ليس حراً والذي يبرزها من غير دليل واضح هو حرّ إلا أنه ليس بالعاقل الواعي.

ومن أولئك الذين تجسدت فيهم حقيقة الإنسان الواعي العاقل، الحر بن يزيد الرياحي الذي اختار أن يكون مع الحسين (ع) على الرغم من قلة العدد وكثرة العدو وعلى الرغم من ادراك خطورة الموقف وأنه سوف يجرُّه إلى فقد مكانته الاجتماعية ومن ثم الموت المحدِّق بالجميع، بل على الرغم من الاختلاف السياسي فيما بينه وبين الحسين (ع)، فإرادته الواعية وحريته الناضجة كانتا السبب في هذا التحول السريع، فكان مع الأبرار وفي جنات النعيم ومثله موقف زهير بن القين الذي كان عثماني المذهب والتوجه، وأما بلال بن رباح على رغم سواد لونه وفقره المدقع والعذاب والتنكيل الذي حل فيه بقي تحت السياط وعلى رمال الرمضاء الساخنة يقول: أحد أحد.

وزينب (ع) تلك الإمرأة في الغربة وبين الأعداء الذين لم يعرفوا الرحمة على رغم المأساة التي لا تحتمل وكل الأحبة حولها مجزرين كالأضاحي ناهيك عن صراخ الأطفال وبكاء الثكالى والأرامل، لم تنسى موقفها وبقيت الإنسانة الحرَّة المعتقدة الجاهرة بكلمة الحق في مجلس

طواغيت زمانها فإنها المأساة والعظمة.

ومثيلتها امرأة فرعون التي تخطت كل مغريات الدنيا التي يمكن أن تبذل لامرأة واختارت بملء إرادتها الحرة الواعية الإيمان بما جاء به موسى (ع) وكفرت بما عند زوجها المتربِّب فرعون، فالمشكلة عند الإنسان تبقى في تحري السبل التي تزيد في وعيه وادراكه وفي تجنب ما يحول بينه وبين ارادته الحرة، ويمكن أن نلخِّص ما يقف حجر عثرة بوجه الإرادة الواعية والفكرة الحرة بما يلي:

١ ـ الخوف والرعب المانعان من النطق بالكلمة الحرة.

٢ ـ الطمع بالمال والمركز الاجتماعي نتيجة الفقر أو الجشع.

٣ ـ الاغترار بالغير سواء كان زعيماً أو سلطة أو عشيرة أو عشير.

والإنسان المؤمن الذي آمن بحق بالله واليوم الآخر هو الذي ملك الحلَّ وبيده مفتاح تلك الأبواب الموصدة فإنه إذا ما توكل على الله واتخذه حسبه وهو القوي المتين لم يبقى شيء يتخوفه بل هو يخاف ممن يخاف منه كل الطواغيت ويتوكل على من بيده رقاب السلاطين وغاية الخوف هو من الموت وما دام الموت حتم على الجميع وما دامت الحياة محدودة وما دام الرجوع لإلى الله، فعلامَ يخاف المؤمن ومن هنا يسخف الطمع بالمال والمنصب ما دام ذلك لا يدوم بل الدائم هو ثواب الله.

ومن يتوكل على الله ويقتدي بأوليائه ويعرف حقيقة الدنيا فعلامَ يغتر بالآخرين وهم مع ما عندهم إلى زوال وما عند الله هو الباقي.

وقال تعالى: **﴿وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾**[1].

---

(١) الشورى: ٣٦.

وقال تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾[5].

---

(١) الجمعة: ٨.
(٢) الزمر: ١٥.
(٣) آل عمران: ٨٥.
(٤) النساء: ٧٤.
(٥) آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧.

الإنسان في واقعيته

١ ـ واقعية الفرح:

الفرح ضد الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ومثله السرور[١]. والسرور خلاف الحزن وهو الفرح[٢].

والفرح حالة متأصلة في طبيعة الإنسان حيث يفرح عندما يرى حصيلة عمله ويحقق مأموله بشكل تلقائي فالطبيب يفرح إذا شفى إنساناً والكاتب يفرح عند طباعة كتابه والبنّاء يفرح ويُسَرّ عندما يبني الدار وهكذا.

إلا أنّ للفرح ارتباط بالاعتقاد والقناعة التي يمتلكها كل واحد وهي مختلفة من إنسان إلى آخر، فالمؤمن يفرح بما يراه محققاً لانتفاعه في الآخرة ومبعداً عما يوجب له الضرر فيترك الغناء والموسيقى المثيرة لأنها تنافي قانونه الإلهي ولأنه لو فعل لعوقب يوم القيامة وكذلك كل تروكاته كالزنا والكذب والنميمة والفساد في الأرض، أما غير المؤمن يفرح بهذه الأمور لاعتقاده وتصوره القاصر أن هذه لذة في الدنيا يكسبها أما لذائذ الآخر وعقوبة الله بنظره غير متحققة أو أن الله غفور رحيم وهو غني عن عقابه.

---

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ١١٠.
(٢) مجمع البحرين.

وكما نرى المؤمن بوعد الله الخالق المنعم يفرح بالجهاد في سبيله تعالى ولو أدى إلى قتله والسارق يفرح عندما يظفر بأموال الناس التي غصبها، والتقي يحزن لحصول الفساد بغير حق في مملكة الله، والشقي تراه في عرس لو أوقع الفتنة بين الناس، وعلى كلٍ الفرح المطلوب هو ما يحصل نتيجة تحقق المشتهى غير المقرون بالفساد والقبح والظلم ومن غير معارضة لقانون الله وشرعه وإلى هذا يرمي المؤمن في تعاطيه في سلوكه الخاص والعام وإنه إذا لم يفرح بما يفرح به غيره فلأنه على خلاف قناعاته واعتقاداته بل يراه موجباً للحزن والغم والعذاب، وأنه ينظر لمن يتمايل راقصاً بين حفنةٍ من الناس يصفقون له على أنغام الموسيقى الصاخبة كمن يتلذّذ بلعق العسل الشهيّ وفي داخله السُّمّ الزعاف لما فيه من غضب الله ووعيده بالعذاب والإنتقام، ولا يعني ذلك كما يقال: إن المؤمن لا يفرح، يعيش في حياة معقدة بعيدة عن الواقع لا تعرف السرور وفي عالم الحزن والكآبة بين ذكر الموت وهول عذاب الآخرة.

فإن هذا اشتباه كبير في فهم حقائق الأمور ويعرف ذلك بأدنى تأمل لمصادر التشريع فإن القرآن كما ذم الفرح بغير حق كذلك مدح الفرح بالحق، قال تعالى: **﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾**[1] وقوله تعالى **﴿إذا قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾**[2] وقال تعالى **﴿لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله..﴾**[3].

فالآية الأولى جعلت الفرح في الأرض بغير الحق وهو الفرح بالشرك ونفي البعث والمرح الذي هو البطر سبب للعذاب في النار

---

(١) سورة غافر آية ٧٥.
(٢) سورة القصص آية ٧٦.
(٣) الروم آية ٤.

الوارد في قوله قبل ذلك **﴿إذْ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾**[١].

والآية الثانية صريحة في ذم الفرح الخاص الذي كان في قارون وهو السرور بزخارف الدنيا وكنوزها حيث أدى به إلى البغي في الأرض والفساد أما الآية الثالثة فهي في مقام حكاية حال المؤمنين ومنهم الرسول (ص) حيث فرحوا بتولية بعض الظالمين بعضاً ووافق ذلك يوم نصر المؤمنين ببدر ففرحوا بالنصرين.

وفي الحديث (إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرّح يتامى المؤمنين)[٢].

وفي الحديث (أكثر سرورك على ما قدمت من الخير وحزنك على ما فات منه)[٣] وفي الخبر (سرور المؤمن بطاعة ربه وحزنه على ذنبه)[٤]فمن هذا يتضح الاشتباه المذكور وأن المؤمن إنسان مرهف الحسّ واضح الدليل ذو حكمة وتدبُّر يتحرك بوعي وعقيدة يرى الدنيا دار ممر وامتحان يتأهّل فيها لدار الخلود كما أخبر أصدق الصادقين بذلك من غير معارضة لحكم العقل والوجدان، وعندئذٍ من غير الانصاف أن نلزم المؤمن بما لا يلتزم هو به لأنه يفرح ولكن في حدود الرضا الإلهي، ويمزح ولكن من غير هزوء وكذب، ويحتفل في مناسبات الأفراح كالأعراس والمواليد ولكن بما هو حلال وبما يحفظ العفة والشهامة وفي الغزل والشعر المحافظين له اليد الطولى وفي الأدب الطريف له جولات وفي الأعياد هو خير من عيَّد، وبين أيدينا عدة مدارك تحدد معالم شخصية المؤمن في المقام: أما الضحك: قال

(١) غافر آية ٧١ ـ ٧٢.
(٢) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٤٣٨.
(٣) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٤٣٧.
(٤) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٤٣٧.

تعالى ﴿**فتبسم ضاحكاً من قولها**﴾[1].

وفي الخبر: (كان صلى الله عليه وآله إذا فرح غض طرفه، جُلّ ضحكه التبسم)[2].

أما السعادة:

قال تعالى: ﴿**وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها..**﴾[3].

وفي الحديث: (في لزوم الحق تكون السعادة)[4].

أما المزاح:

قال (ص): (إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً)[5].

وروي أنه (ص) كان يأكل رطباً مع ابن عمه وأخيه أمير المؤمنين وكان يأكل ويضع النوى أمامه فلما فرغ كان النوى كله مجتمعاً عند علي عليه السلام فقال له: يا علي إنك لأكول، فقال له: يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب ونواه[6].

أما الشعر:.

عن الرسول (ص): (إن من الشِعْر لحكماً وإن من البيان لسحراً)[7].

---

(١) النمل آية ١٩.
(٢) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٤٨٠.
(٣) هود آية ١٠٨.
(٤) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٤٦٠.
(٥) أخلاق السيد شبر ص ١٣٤.
(٦) أخلاق السيد شبر ص ١٣٤.
(٧) قصار الجمل ج ١ ص ٣٤٤.

وعن الصادق (ع): (من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة)[1].

أما الصوت الحسن:

عنه (ص): (لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن)[2].

أما غناء النساء في الأعراس:

عن علي بن جعفر عن أخيه (ع) (قال: سألته عن الغناء هل يصلح في الفطر والأضحى والفرح قال: لا بأس به ما لم يعصَ به).

وعن أبي عبدالله (ع): (أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس وليست بالتي يدخل عليها الرجال).

والرواية الأولى حملها صاحب الوسائل على زف العرائس في عيدي الفطر والأضحى[3].

والمراد بقوله (ما لم يعصَ به) هو أن الغناء للنساء في الأعراس حلال بشرط عدم انضمام الحرام إليه ومنه آلات الطرب المحرمة والكلام بالباطل واختلاط الرجال معهن.

أما الأعياد:

فقد شهد الرضا عليه السلام يوم الغدير وقد غيّر أحوال خاصته وحاشيته وجددت له آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه

---

(١) قصار الجمل ج ١ ص ٣٤٥.
(٢) شرح المكاسب لكلانتز ج ٣ ص ٢٥٤.
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٨٥.

وقال الرضا (ع): إنه يوم لبس الثياب ونزع السواد وقال (ع) هو يوم الزينة.

فمن آداب العيد[1]: تغيير حاله وحال حاشيته في لباسهم وتجديد الأواني والرياش، والتوسعة على نفسه وعيـاله وصلة الرحم وأن يلبس أنظف الثياب وأفخرها ويتزين ويتطيب ويهنىء ويظهر الفرح والسرور.

وعن الصادق (ع) أنه قال عن يوم الغدير: (إنه يوم عيد وفرح وسرور وصوم شكراً لله عز وجل فإن صومه يعدل ستين شهراً من الأشهر الحرم)[2].

وقال الرضا (ع) عن يوم الغدير (إنه يوم نفي الهموم ويوم التبسم في وجوه الناس من أهل الإيمان فمن تبسم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة وقضى له ألف حاجة وبنى له في الجنة قصراً من درة بيضاء ونظر وجهه)[3].

أما أحزان كربلاء وذكر الموت وأهوال يوم القيامة فمن المسائل التي تصب في عقيدتنا، لأن إحياء ذكرى عاشوراء في المناسبات ـ كمصيبة إمام هدىً كان لشهادته هدف وهو احياء الدين ورسم طريف الجهاد ومقارعة الظالمين ـ له الأثر البالغ في إيصال الهدف إلى كل الأجيال الصاعدة في عمود الزمان وذكر الموت لا يعني لبس السواد ونظرة التشاؤم للحياة بل يعني الإستعداد له فإنه أمر محتوم على كل الخلائق وكذلك الحال بالنسبة لذكر أهوال القيامة ومن وعى هذه الحقيقة فبدون شك سوف يعيد حساباته في كل مواقفه وقناعاته حتى تكون متطابقة مع قانون رب العالمين إذْ لا منجي هنالك إلا العمل الصالح المنسجم مع رضا الله سبحانه **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من**

---

(١) مفتاح الجنات للسيد الأمين في مستحبات عيد الغدير ج ٣ ص ٣٧١ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ص ٣٧٢.
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٦.

أتى الله بقلب سليم﴾[1].

والمؤمن في ذكرى عاشوراء يظهر الحزن والأسى على هذه المصيبة العظيمة وعند ذكر الموت والآخرة يخشع قلبه وعند الأفراح يفرح وعند الأعياد يعيِّد، مقبلاً على شؤون حياته إلا أنه في كل تقلباته وأعماله يبقى محافظاً على الدروس التي استفادها من ذكرى كربلاء ومن ذكر الموت والآخرة فلا يرتكب ما هو على خلاف هدف كربلاء وما هو موجب لعذاب القبر ويوم القيامة.

ويمكن القول: إن المؤمن في أفراحه وأحزانه يراعي أحكامه الشرعية بكل دقة بحيث لا يخرجه فرح أو حزن عن تشريعه وقانونه الإلهي.

نعم الحزن له معنيان: .

١ ـ الحزن بمعنى الهم والغم كمرض نفسي وهو يحصل لفقد شيء من حطام الدنيا أو لعدم الحصول عليه وهذا مذموم في الشرع وإليه تشير الأدلة الآتية: .

في الخبر: (الهمّ نصف الهرم ـ الحزن شين الخلق ـ الغم مرض النفس ـ تعوذوا بالله من حب الحزن ـ من نظر إلى ما في أيدي الناس طال حزنه ودام أسفه)[2].

٢ ـ والحزن العقلائي ما هو على فقد الأحبة كالحزن على قتل الحسين (ع) والحزن ندامةً بين يدي الله سبحانه في العبادة على ما فرط في جنب الله فهذا الحزن أمر طبيعي يحصل لكل إنسان وفي نفس الوقت يكون سبباً لشدّ الهمة والإتعاظ مما مضى وأخذ الأهبة والإستعداد

---

(١) الشعراء آية: ٨٨.

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

لتدارك ما فات وهذا مدحته الروايات الآتية[1]:.

في الحديث: (الحزن شعار العارفين لكثرة واردات الغيب على سرائرهم وطول مباهاتهم تحت ستر الكبرياء ولو حجب الحزن عن قلوب العارفين ساعة لاستغاثوا ولو وضع في قلوب غيرهم لاستنكروه).

وفي الحديث: (نفس المهموم لنا المغتمَّ لظلمنا تسبيح وهمّه لأمرنا عبادة).

٢ ـ واقعية التقوي:

التقي هو الإنسان الذي انتظم سلوكه على طبق شرع الله سبحانه المتجنب لسخطه وغضبه الملتزم بأمره التارك للمعاصي والخبائث.

قال الإمام علي (ع): التقوى اجتناب ـ والمتقي من اتقى الذنوب ـ والتقوى أن يتقي المرء كلما يؤثمه[2]. وعمدة العمل التقوائي هو في العبادات المشروطة بنية التقرب لله سبحانه وهذه هي محط اختبار العبد في سلوكه لمعرفة درجة اخلاصه لمولاه من غير أي شرك خفي، فقوام العبادات بالنية الخالصة لوجه الله الكريم وهذه النية لا يطلع عليها إلا الله سبحانه ونفس الإنسان، ففي معتبرة علي بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم عن أبيه عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله (ص): يؤمر برجال إلى النار (إلى أن قال) فيقول لهم خازن النار: يا أشقباء ما كان حالكم: قالوا: كنا نعمل لغير الله، فقيل لنا: خذوا ثوابكم ممن عملتم له[3]. ونية الإخلاص لله سبحانه هذه ميزانها الوجدان ولا يكذب المرء على نفسه قال سبحانه: ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾[4].

---

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٦٨.
(٣) الوسائل ج ١ باب ١ ج ١.
(٤) القيامة آية ١٤.

وبهذه النية امتاز المؤمن من الكافر والتقي عند الله من الفاسق والمنافق.

فقال الإمام علي (ع): (زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر)[١].

وقال (ع): (من حسنت سريرته حسنت علانيته)[٢].

وقال (ع): (أفضل الحياء استحياؤك من الله)[٣].

وبما أن الإنسان قادر على التلوّن والظهور بغير وجهه الحقيقي بابداء ما هو خلاف باطنه وقد يعمل العمل لكسب رضا الناس ومدحهم من غير أن يحسب أي حساب لله سبحانه كما قال أمير المؤمنين[٤]: اللهم إني أعوذ بك من أن تحسِّن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما أبطن لك سريرتي محافظاً على رئاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه منيِّ فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي إليك سوء عملي تقرباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك.

احتجنا إلى الميزان السلوكي حتى لا يغتر بعضنا ببعض ولكي يتميز صالح الناس من طالحهم في حركتنا الاجتماعية الهادفة وبتعبير آخر إن للتقوى مقياسين: .

مقياس عند الله وعند النفس وهو الإخلاص في النية تقرباً وحباً لله سبحانه.

ومقياس عند الناس وهو حسن الظاهر والسلوك الدؤوب في طاعة المولى وهذا لا يعرف إلا بالمعاشرة والمخالطة.

وهذان المقياسان هما أيضاً لمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال،

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٥٧.
(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٥٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) قصار الجمل من نهج البلاغة رقم ٢٧٦.

ومن هنا كان اثبات العدالة بشهادة عدلين أو بالمعاشرة المفيدة للعلم أو الاطمئنان أو بالشياع المفيد للعلم بل تعرف بحسن الظاهر[1]، فبالمعاشرة يزول التصنع والتلون لعدم المقدرة على إظهار ما هو خلاف الواقع بشكل مستمر ودؤوب ولذا لم ينجح التصنع والتلوّن إلا في اللقاءات القصيرة فيمكن للشخص أن يتظاهر بالتقوى بترديد بعض الآيات أو بإلقاء خطاب أو كتابة بيان مادام ذلك في جلسات مختصرة إلا أنه لا يمكن أن يتصنع التقوى اما زوجته التي تعاشره ليلاً نهاراً كما انه يمكن للشخص أن يظهر التحلي بالأخلاق الفاضلة من صبر وهدوء وحلم وعفو أمام فلان من الناس إلا أنه لا يقدر على ذلك أمام صديقه الذي هو مودع أسراره ومدار حركته.

قال الإمام علي (ع): خوافي الأخلاق تكشفها المعاشرة[2]. ومن هنا يمكن أن نخرج بقاعدة عامة وهي: إن السلوك الحسن من تقوى وخُلُق حيث لا يمكن الرياء.

أو فقل: إن التحليّ بالتقوى والخلق هو الذي يشهد به الجار اللصيق والرحم الزميل والصديق الحميم والزوج العشير، لا ما يشهد به المقال في الصحيفة أو الجريدة أو التصريح على المنبر أو المظهر المميَّز في اللقاءات المحدودة.

ويمكن أن نقسم العشير إلى ما يلي: .

١ ـ الزوجة والأولاد.

٢ ـ الأبوان.

٣ ـ الرحم والجار اللصيقان.

٤ ـ الصديق الحميم.

---

(١) تحرير الوسيلة ج ١ ص ١١ باب التقليد.

(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٤٣٧.

٥ ـ البيئة المحيطة.

وهؤلاء هم الشاهد الحقيقي على السلوك الحسن أو السلوك المنحرف.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص): خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي[١].

وقال الإمام علي (ع): من أساء إلى أهله لم يتصل به تأميل[٢].

وقال (ع): من ساء خلقه أعوزه الصديق والرفيق[٣].

وقال (ع): من حسن جواره كثر إخوانه[٤].

وقال (ع): من لم يتحمل ذلل الصديق مات وحيداً[٥].

في حين أن التقوى والأخلاق ليسا في امتلاك المعلومات النظرية حول التقوى ولوازمها وحول الأخلاق ومقتضياتها بل في السلوك العملي، وكم من إنسان يظرٌ للأخلاق والتقوى وهو بعيد كل البعد عنهما، وكم من إنسان يحسن بلسانه اكرام اليتيم واليتيم يتضور جوعاً أمام موائده الشهية، وكم من إنسان يتغزّل بالجمال وقد شوّه وجه حبيبه من كثرة الأحزان، وقد يحسن المرء وصف الحنان والمحبة وهو جهنمي الحياة مع عائلته وقد يحسن المرء وصف الصلاة إلا أنه لا يصلي ، وكم من معترف بربوبية الله وأنه هو ولي كل نعمة ومن وراء كل حاجة والحال يعصيه في مملكته، إلا أنّ هذه الإزدواجية في الموقف مردها إلى مرض نفسي وخيم يحتاج إلى علاج سريع بعد تحديد نوع هذا

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ١٢٢.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٥.
(٣) تصنيف غرر الحكم ص ٢٦٥.
(٤) تصنيف غرر الحكم ص ٤٣٧.
(٥) تصنيف غرر الحكم ص ٤٢٠.

المرض ولعله يرجع إلى مرض الغضب في غير محله أو إلى سوء الظن بالآخرين أو إلى تغلب شهوة حب الذات ولوازمها أو إلى غير ذلك وهذا يختلف من إنسان إلى آخر ومن حادثة إلى أخرى.

نعم في الظروف الصعبة المملوءة بالمشاكل كما في زماننا هذا نحتاج إلى مسألة هي «غض النظر عما نراه من إرباك في حياة الأفراد» أو فقل «النظرة الرحيمة للمبتلىٰ بهذه الازدواجية في الشخصية» وهذا التقييم هو استثنائي من القاعدة الأولية، خصوصاً عند أولئك الذين يخالطون الناس بشتى شخصياتهم ونفسياتهم فالذي يعاشرهم عليه أن يتنازل بعض الشيء عن انتقاداته وتقييماته على قاعدة غض النظر عما يراه، واعتبار ما حدث وكأنه لم يحدث وهذا بنظري هو الطريق الوحيد لتلافي الصدامات والمشاكل التي كثيراً ما تحدث نتيجة ازدحام المشاكل التي يرافقها التوتر النفسي وسرعة الغضب ومن ثم الموقف غير المسؤول من كلمة أو فعل فإذا ما جوبه ذلك بردة فعل بالمقابل تكون النتيجة خلق المشاكل الجديدة فوق المشاكل السابقة، وعلى الغالب أن المبتلى بهذه الازدواجية هم من كَثُرتْ أشغاله وغلبه طبعه الغضوب وكان ضعيفاً في تدبير الأمور كالتاجر والزوجة التي لديها الأولاد الكثر والرجل الذي تكثر مسؤولياته.

وأهم علاج في المقام ما يلي:

- تنظيم الاعمال.
- تحمل العمل بقدر وسع الشخص.
- هدوء الاعصاب.
- الصبر وكظم الغيظ.
- تناسي المشاكل السابقة وعدم ذكرها.
- احترام وقت الفراغ وقضاؤه مع الاولاد وفي النزهات في الطبيعة.
- الدعاء بطلب العون من الله.

الإنسان والنقد الذاتي

قال في المصباح المنير: نقدت الدرهم نقداً وانتقدت كذلك إذا نظرتها لتعرف جيدها وزيفها.

والمراد بالنقد الذاتي هو الالتفات إلى النفس ومواقفها لمعرفة السلوك الحسن من رديئه في ماضي أعماله وفيما سوف يحدث فيصلح ما يمكنه إصلاحه ويحذر من سقطات المستقبل مع المواظبة على الإصلاح والصلاح.

والإنسان المتزن هو الذي ينطلق إلى ساحته الاجتماعية بهدوء وحذر جاعلاً لكل حركة من حركاته الحسابات المسؤولة والدراسة المعقولة، وكيف لا، وهو قد تجلت فيه القدرة الإلهية والحكمة الربانية قال سبحانه: **﴿وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾**[1] وقال: **﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾**[2].

وجاء في التفسير[3]: (إن المراد بأحسن تقويم صلوحه بحسب الخلقة للعروج إلى الرفيع الأعلى والفوز بحياة خالدة عند ربّه سعيدة لا شقوة معها وذلك بما جهزه الله به من العلم النافع ومكنه منه من العمل الصالح) وبعد الإيمان بخالق هذا الكون وبعد إدراك وجوب شكر المنعم

---

(١) التغابن آية ٣.
(٢) التين آية ٤.
(٣) تفسير الميزان ـ سورة التين ج ٢٠.

الذي نعمه تفوق حد الإحصاء والتي ابتدأها من غير سؤال وبعد إدراك وجوب طاعة رب هذه المملكة حيث لا يتم شكره إلا بعبادته والركون إلى طاعته وقد أنزل إلينا رسالاته وكتبه مبيناً فيها أوامره ونواهيه وباقي أحكامه يتعيَّن على هذا الإنسان المتزن العاقل أن يجسِّد في تحركه وتقلبه الاختيارين النقد الذاتي بأحسن تجسيد حتى يكون الأنموذج الصحيح والمثال الأجود في السير والكدح إلى الله سبحانه وحتى يكون الفرد المميّز في سلوكه في ساحة الطاعة والعبادة.

وقد أكدت الشريعة المقدسة على ذلك بصنفين من الروايات صنف صريح وآخر من خلال بيان بعض الأحكام التي ترتبط بالسلوك الفردي، أما الصنف الأول:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾[١].

وقد جاء في التفسير[٢]: اللوامة هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا وتحاسبها فتقول ماذا فعلت ولم قصَّرتِ فتكون مفكرة في العواقب أبداً.

٢ ـ عن الإمام الصادق (ع) (رحم الله عبداً حببنا إلى الناس)[٣].

٣ ـ قوله (ع): (يا معشر الشيعة إنكم قد نُسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)[٤].

٤ ـ وعن أبي محمد العسكري (ع): (اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنّا كل قبيح)[٥].

٥ ـ وعن أمير المؤمنين (ع): (كن مؤاخذاً نفسك مغالباً سوء

---

(١) سورة القيامة.
(٢) مجمع البيان في تفسير الآية المباركة.
(٣) مكيال المكارم ج ٢ ص ١٤٠ ـ راجع كتاب آداب عصر الغيبة ص ٧٨.
(٤) ميزان الحكمة ج ٥ ص ٢٤١ ـ قريب منه الوسائل ج ١ ص ٥٦ باب ١٦.
(٥) المصدر السابق.

طبعك وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك)[1].

٦ ـ وعنه (ع): (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووازنوها قبل أن توزنوا)[2].

٧ ـ وعنه (ع): (من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه واستقال الذنوب وأصلح العيوب)[3].

٨ ـ وعنه (ع): (من أهمل نفسه أفسد أمره)[4].

٩ ـ وعنه (ع): (من كثر احتراسه سلم غَيْبُه)[5].

والمتحصل من هذه الأدلة الصريحة هو أن النفس المتزنة التي أدركت حقائق الأمور هي نفس مفكِّرة بعواقب أمورها دوماً محاسبة نفسها حساب الرجل المسؤول خائفة من غضب المولى حريصة كل الحرص على عدم تحميل العقيدة والدين ما هو بريء منه وما هو عرضه للتنفر والطعن فلم تفسد الأمر على العقيدة ولم ترتكب ما ينفرِّ منها ومن معتقدها بل استزادت من الخيرات وسارعت في إصلاح سوء طبائعها وجلبت كل خير ومودة للعقيدة ولقادتها، وبذلك أصبحت هي المحبوبة معتقدها مرغوب وقادتها في محط إكبار وإجلال وعندئذٍ صارت أهلاً لكي يقسم بها ربُّ العزة وإله الخلق.

أما الصنف الثاني من الروايات:

١ ـ ما دل على المواظبة على نظافة الجسد:.

قال الأمير (ع): (تنظفوا بالماء من الرائحة المنتنة فإن الله تعالى

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٩.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٦.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

يبغض من عباده القاذورة)[1].

٢ ـ ما دل على الاعتناء باستعمال الطيب.

قول الصادق (ع) (إن الله يحب الجمال والتجمل ويكره البؤس والتبؤس وإن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها قيل وكيف ذلك؟ قال: ينظف ثوبه ويطيب ريحه ويجصص داره ويكنس أفنيته)[2].

٣ ـ ما دل على العناية بنظافة الثوب كما في الرواية السابقة.

٤ ـ ما دل على العناية بالجمال والتجمل كما في الرواية السابقة.

٥ ـ ما دل على ترتيب الدار وتنظيفه كما في الرواية السابقة.

٦ ـ مادل على الاعتناء بالبشرة: .

عن الصادق (ع): (الدهن يلين البشرة ويزيد في الدماغ ويسهّل مجاري الماء ويذهب القشف ويسفر اللون)[3].

٧ ـ ما دل على العناية بالأسنان:[4].

عن النبي (ص): (السواك يزيد الرجل فصاحة).

وعن الصادق(ع): (لكل شيء طهور وطهور الفم السواك).

٨ ـ ما دل على النظافة بازالة شعر الأنف والعانة والإبط والشارب:

وقال (ع): (أخذ الشعر من الأنف يحسن الوجه)[5].

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٠.
(٢) مكارم الأخلاق ص ٤١.
(٣) مكارم الأخلاق ص ٤٧.
(٤) مكارم الأخلاق ص ٤٨ ـ ٤٩.
(٥) مكارم الأخلاق ص ٥٩.

وقال (ع): (قال الله لإبراهيم (ع) تطهر فأخذ شاربه ثم قال تطهر فنتف إبطه ثم قال تطهر فقلم أظفاره ثم قال تطهر فحلق عانته ثم قال تطهر فاختتن)[1].

٩ ـ ما دل على الاعتناء بالإظفار، كما تقدم في الرواية الأخيرة.

١٠ ـ ما دل على الاعتناء باللحية:

قال الصادق (ع): (تقبض بيدك على اللحية وتجز ما فضل)[2].

وقال (ع): (من سعادة المرء خفة لحيته)[3].

١١ ـ ما دل على تسريح الشعر والامتشاط: .

عن الصادق (ع): (قال النبي (ص) الشعر الحسن من كسوه الله فاكرموه)[4].

وعنه (ع): (من اتخذ شعراً فليحسن ولايته أو ليجزه)[5].

١٢ ـ ما دل على التزين عند لقاء الأخ:

قال الأمير (ع): (ليتزين أحدكم لأخيه إذا أتاه كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن هيئة)[6].

١٣ ـ ما دل على ترتيب الثياب بعد نزعها واتخاذ ثوب للزينة وثوب للعمل: عن أبي جعفر (ع): (طي الثياب راحتها وهو أبقى لها)[7].

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٦٠.
(٢) مكارم الأخلاق ص ٦٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) مكارم الأخلاق ص ٧٠.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مكارم الأخلاق ص ٩٨.
(٧) مكارم الأخلاق ص ١٠٣.

وعن أبي عبدالله (ع): (إنما السرف أن تجعل ثوب صونك ثوب بذلتك)[1].

١٤ ـ ما دلّ على الاتزان حال المش في الطريق:

قال تعالى ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً**﴾[2].

عن أبي عبدالله (ع) (لا تأكل وأن تمشي إلا أن تضطر إلى ذلك)[3].

وقوله (ص): (وإياك ورفع صوتك في مسيرك)[4].

١٥ ـ ما دل على الابتعاد عن مواضيع التهم:

عن الأمير (ع): (من وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومنّ إلا نفسه)[5].

١٦ ـ ما دل على معرفة قدر النفس:

قال الأمير (ع): (من وقف عند قدرة أكرمه الناس)[6].

وقال (ع): (هلك امروء لم يعرف قدره)[7].

١٧ ـ ما دل على الاكتفاء الذاتي وعدم الوقوع في رهان الآخرين.

قال الصادق (ع): (أعمل فاحمل على رأسك واستغن عن الناس)[8].

وقال (ع): (إني لأحب أن أرى الرجل متحرفاً في طلب

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الفرقان آية ٦٣.
(٣) مكارم الأخلاق ص ١٤٥.
(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٥٣.
(٥) البحار ج ٧٥ ص ٩٠.
(٦) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٣.
(٧) البحار ج ٧٥ ص ٦٨.
(٨) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٢.

الرزق)[1].

والمتحصل من هذا الصنف الآخر من الأدلة هو:

إن الشريعة أرادت أن تنظم شخصية الإنسان وتجعله في محط الأنظار ومحل الإكبار وموضع الإقتداء به، فإن أرشدت هذه الشريعة المؤمن إلى طي ثيابه بعد نزعها وإلى عدم الأكل في الشارع وهذه أقل ما نتصوره في حياة الإنسان، فلا شك أنها ترشده ليكون الإنسان المتحضر وليكون العابد لله في مملكة ربه المتكامل أدباً وخُلُقاً وسيرة فيما هو أكبر وأهم من طي الثوب والمشي في الشارع.

بل تريد الشريعة من خلال هذه الأدلة أن يكون الإنسان المؤمن بربه مراقباً لكل تحركاته محاسباً نفسه حساب الرجل المسؤول حتى في دقائق الأمور كما في قصّ الإظفار وتسريح اللحية.

ولا شك أن من يعتني بطي ثيابه بعد نزعها ومن لم يرفع صوته في الشارع خلال مسيرة لهو ذو حسّ مرهف لا يتصور في حقه أن تصدر منه التصرفات غير المسؤولة والأعمال غير المرضية والأفعال الصبيانية.

وهذا الذي ذكرنا هو أحد المقومات للشخصية المتدينة فإذا ما اجتمع مع باقي المقومات الآتية الذكر اكتملت هذه الشخصية وازّينت وبلغت مرتبة الكمال الاجتماعي المرجو.

المرأة في المجتمع:

المرأة ثاني الذكر وقد خلقهما الله سبحانه في أحسن تقويم وصورهما بأفضل تصوير فهما معاً يسعيان إلى الكمال وكلاهما المؤهل ليكون الخليفة والعابد لله في أرضه الساعيان معاً لتطبيق شرعه في ملكه، كلٌ بحسب دوره وشأنه وكلٌ يحاسب على قدر عمله.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٩٥ ح ٨.

قال سبحانه ﴿**ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة**﴾[1].

وللمرأة خصوصيات كما للرجل خصوصيات مع وجود نقاط كثيرة يجتمعان عليها ويمكن تلخيص المميزات للمرأة في النقاط التالية.

أ ـ إن المرأة تعتبر الأنيس للرجل وعندها راحته.

قال الإمام علي (ع): (الأنس في ثلاثة: الزوجة الموافقة، والولد الصالح (البار) والأخ الموافق)[2].

وقال (ع): (الزوجة الموافقة إحدى الراحتين)[3].

وقال سبحانه: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾[4].

وقال الإمام علي (ع): (فإن المرأة ريحـــانه وليست بقهرمانة)[5].

والريحان كل بقّل طيب الريح[6].

ب ـ إن المرأة قوتها في ضعفها وكفالتها: .

كما تقدم في كلام الأمير (ع) وأنها ريحانة.

وقال (ع): (إنما المرأة لعبة فمن اتخذها فليغطها)[7]

وقال (ع): (إن النساء هَمُّهُنَّ زينة الحياة الدنيا)[8].

---

(١) النساء آية ١٢٤.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الأعراف آية ١٨٩ ـ النفس الواحدة هو آدم كما في الميزان ـ ليسكن إليها أي يأنس بها كما في مجمع البيان.
(٥) تصنيف غرر الحكم من نهج البلاغة ص ٤٠٨.
(٦) لسان العرب.
(٧) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٨.
(٨) المصدر السابق.

وقال (ع): (لا تحمِّلوا النساء أثقالكم واستغنوا عنهن ما استطعتم)[1].

وقال (ع): (خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوّة لم تمكن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت حالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فَرِقَت من كل شيء يعرض لها)[2].

والمتحصل من هاتين النقطتين إن المرأة كزوجة لها الدور المهم في شخصية الرجل فهي التي يسكن إليها في خضم معترك هذه الحياة وهي التي يأنس بها فتنسيه جميع المكابدات والأتعاب وهي الزهرة بكل مالها من معاني الجمال في النفس، وهي اللعبة المرجوة التي تمثل الزينة لطالبها الجاذبة لرائيها الشاغلة لناظرها عن كل شيء سواها الغيور عليها خوفاً من أن تمتد أيٌّ يدأخرى إليها، وهكذا صاغتها القدرة الإلهية ومع ذلك فهي تحتاج إل المصون لها كالوردة التي تتداعب مع النسيم إلاّ إن الريح العاصف يشتت جمالها وكاللعبة التي تدوم بالمداراة إلاّ أنها تتهشم مع العنف والإهمال، والتي همها الجمال والزينة لا تستطيع تحمل مشاق الحياة إلا عند الضرروة كالزهرة التي قوتها في ضعفها وجمالها بلطافتها وكمالها في تحصنها وعزُّها أن تكون دوماً بجانب من يحميها وهذا المعنى من الحصانة والحماية لا يكون إلا إذا كرِّمت في بيت أهلها أو بيت زوجها بحيث لا تحتاج إلى مواجهة مشاكل الحياة كما هو الحال عند الرجل إلا إذا دعت لذلك الضرورة ولذا ورد في الحديث ثلاثة للمؤمن فيهن الراحة ويعد منها (وابنة أو أخت يخرجها من منزله بموت أو بتزويج)[3]، فكلمة (يخرجها) تشير إلى الحامي والكفيل

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الخصال ـ باب الثلاثة ـ ص ١٥٩.

والولي الذي عليه أن لا يحيجها إلى خارج البيت مادام قادراً على إغنائها وكفايتها، ونجاح المرأة كزوجةٍ موافقةٍ مرهون بادراكها لحقيقة أمرها هذه وباتخاذها للدور الطبيعي لها، وأي سقوط في الحياة الزوجية إن كان التقصير منها فهو يعود على الغالب إلى فقدان هذا الجانب الحساس من دورها وإن كان التقصير منه فهو يعود إلى عدم فهم حقيقتها، وعلى المرأة الواعية كزوجة أن لا تسمح لمشاكل الحياة كتربية الأطفال أو العمل خارج البيت أو غير ذلك أن تنسيها دورها المهم هذا في الحياة الزوجية، وكم من امرأة تحيل الكثير من المشاكل البيتية إلى كثرة العمل أو زيادة المسؤولية مع أن الصحيح أن تحيل ذلك إلى عدم تنظيم أوقاتها، ولعل تنظيم الوقت يقيِّدها نوعاً ما إلاّ أن هذا أسهل تحملاً من المشاكل التي تحدث من خلال فقد النظام، ولعل مشكلة واحدة تقفل الإبتسامة على وجوه العائلة لفترة طويلة من الزمن، بل لعلها تسلب راحة البال لمدة أسابيع بل شهور وهذا يختلف من طبع إلى آخر ومن مشكلة إلى أخرى، وتعب قليل يتبعه فرح كبير خير من راحة قليلة يتبعها ألم طويل.

وهذا الذي ذكرنا هو المراد من الزوجة الموافقة والصالحة، لأنها مع فقدان دورها الطبيعي كأنيس لا تكون موافقة، ومع عدم اعانة الزوج على أمر الدنيا والآخرة بحيث لم تؤمِّن الراحة للعائلة كلها مما يختص بها من راحة بيتية أو ارتياح نفساني فإنها عندئذٍ لا تكون صالحة وقد ورد في الحديث في الثلاثة التي للمؤمن فيهن الراحة وعدّ منها (وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة)[1] والحديث مطلق من ناحية الإعانة على أمر الدنيا سواء في الأمور المادية أو في الأمور المعنوية والنفسانية بالإضافة إلى الإعانة على أمر الآخرة وهذا يشعر بأن المرأة الصالحة لا يكون صلاحها إلا بتدينها وإيمانها بالآخرة والعمل لذلك،

---

(١) الخصال ـ باب الثلاثة ـ ص ١٥٩.

وإذا تعرضنا إلى هذا الجانب لا يعني ذلك أن الرجل ليس عليه حقوق وواجبات، بل له دور رئيسي في بناء الحياة الزوجية السعيدة وله الدور المهم في الأخذ بيد زوجته ليساعدها في بلوغها المطلوب.

وطالما يقع الرجل فريسة أوهامه وعواطفه، وسرعان ما يبدي يأسه من زوجته عندما يرى فيها تقصيراً ما أو عندما تقع فريسة المتاعب ومشاق الحياة فمن الخطأ أن لا يقدر ظروفها فإن كانت جاهلة علمها وأرشدها وإن كانت مقصِّرة تغاضى عما يراه لانتهاز الفرصة المناسبة لكي تعود إلى رشدها وإن كثرت متاعبها يساعدها ولو قليلاً على تخفيف ذلك، فمن العيب من الرجل إذا ما رأى امرأة متجملّة ينغرُّ فيها وعنده زوجته يحرمها من شراء وسائل التجمل من أجله، ومن العيب على الزوج إذا ما وجد زوجته أسيرة شغل البيت وتربية الأطفال فيقيسها إلى المرأة التي رآها خالية من أي مسؤولية ويخرج وقتها بنتيجة هي أن زوجته غير مؤهلة لكي تكون الشريكة له، في حين أنه لم يقدِّر ظروفها تلك بتاتاً ولا يعني ذلك أن المرأة تستغل هذا الجانب وتتهامل بوظيفتها اتجاه زوجها.

ج ـ أنها تمثل الجانب الشهوائي المحفوف بالشر المحدق بالحالة الاجتماعية قال الله سبحانه **﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾**[1].

والمراد بالشهوات المشتهيات لا نفس الشهوة والقنطار هو الكثير والمقنطرة المتضاعفة والمسوّمة الراعية والحرث هو الزرع.

وهذه الآية المباركة تعدِّد المشتهيات للإنسان المحبَّبة لديه ولا يعنى أن كل مشتهى هو محرم، بل المحرم والمذموم منها هو ما استعمل

(١) آل عمران آية ١٤.

في غير مرضاة الله سبحانه وتعالى وألهى الناس عن وظائفهم الحيوية ولذا قال سبحانه ﴿**قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق**[1]﴾ والزينة[2] هي التي بها يرتفع العيب المنفر وهي التي يستحسنها المجتمع وتنجذب لها النفوس وإنما تحرم إذا كانت سبباً لجلب القلوب وايقافها على الزينة وإلهائها عن ذكر الله والمنع من التكامل وهذا هو العمل الشيطاني المذموم كما قاله سبحانه﴿ **وزَّين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**﴾[3] وقال سبحانه ﴿**زُيِّن لهم سوء أعمالهم**﴾[4].

إلا أن الآية ذكرت النساء في رأس قائمة المشتهيات وهذا يعني أنها في الموقع الحساس في الحركة الاجتماعية الكادحة إلى الله وإنها بانحرافها تكون الوسيلة الخطرة لجلب القلوب وانجذاب النفوس كما هو الموجود في عصرنا هذا حيث أصبحت المرأة متجسدة بجانبها الشهوائي المفتن وصارت وسيلة لقطع العلاقة بالله وحجر عثرة في طريق الإنسانية بل ضاعت المرأة بتضييع دورها الإنساني وضيَّعت غيرها، وفرق كبير بين امرأة فرعون التي تركت كل مغريات الدنيا المعروضة لها والتي آمنت بما جاء به نبيها مقوية للنهج الداعي إلى الرجوع إلى حكم الله في أرضه وبين الإمرأة التي هي لعرض الأزياء أو للدعاية على الشاشة المرئية أو التي لا يهمها في هذه الحياة إلاّ إبراز الإغراء الجنسي.

وعلى هذا المعنى يجب أن نحمل الروايات التي تصف المرأة بأنها شر والتي تحذر من معاشرة النساء.

كما في كلام أمير المؤمنين (ع): (المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها)[5].

---

(١) الأعراف آية ٣٢.
(٢) الميزان ج ٣ ص ٩٧.
(٣) الأنعام آية ٤٣.
(٤) التوبة آية ٣٧.
(٥) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٩٩٩.

وقال (ع): (اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر)[1].

فالمرأة شر إذا تركت الخصال الحميدة وكانت زينة للدنيا شاغلة عن ذكر الله وهي خير إن كانت جامعة للخصال الحميدة عابدة لله، ومع ذلك لا بد من الحيطة والحذر لما تشغله من الجانب ألاشتهائي عند الذَكَر. أما ما ورد من أن النساء ضعيفات العقول كما قال الإمام علي (ع) (فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول)[2].

لا يعني أن النساء لا تقدر على أن تتعقل الأمور كالرجل، كيف ذلك؟ وأدلة التكليف بنفس المستوى موجهة إلى المكلف سواء الذكر أو الأنثى ومن شروط التكليف العقل، علاوة على أنه قد ورد من الروايات ما يرغب باختيار الجارية ذات الأدب والعقل[3] فضلاً عن أنه قد ثبت أن بعض النساء تفوق بادراكها العقلي كثيراً من الرجال، فهذه السيدة فاطمة الزهراء (ع) قد بلغت من الكمال ما لا يقاس مع أحد من البشر غير المعصومين وكذا السيدة زينب (ع)، وموقف خديجة الكبرى (ع) من الرسول (ص) ورسالته عزَّتْ له الرجال.

بل المراد من النقص في العقل هو تغليب الجانب العاطفي الذي إذا ما سيطر على النفس قلّل من سلطة العقل قال تعالى واصفاً الامرأة﴿**أو من ينشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين**﴾[4] قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: (ينشأ في الحلية يتربّى في الزينة وفي الخصام غير مبين أي في المحاجة غير مبين لحجته قال: إنما ذكر هذين النعتين لأن المرأة بالطبع أقوى عاطفة وشفقة وأضعف تعقلاً بالقياس

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٨.

(٢) نهج البلاغة ج ٣ من وصية له (ع) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين ص ١٥ تعليق الشيخ محمد عبدُه.

(٣) الوسائل ج ١٤ ص ١٣.

(٤) الميزان ج ١٨ص ٩٠ طباعة الأعلمي.

إلى الرجل وهو بالعكس ومن أوضح مظاهر قوة عواطفها تعلقها الشديد بالحلية والزينة وضعفها في تقرير الحجة المبين على قوة التعقل) وهذا ما يحدث للرجل أيضاً لو تغلبت العاطفة عليه في حين ان لتغليب العاطفة عند المرأة سرّ في حكمه خلقها كذلك لأهمية الدور العاطفي في الحياة الزوجية والتربوية بل يمكن القول: إن المرأة الناجحة هي التي استفادت من الموقف العاطفي وجعلته في محله.

والقانون الإسلامي لاحظ هذا الجانب الدقيق للمرأة في حركة المجتمع وأعطى الضوابط العامة المحافظة على دورها الإيجابي والفعال ويتلخص ذلك في النقاط التالية: .

١ ـ الإلزام بالحجاب ابتداءً من الوقت الذي ينهض فيها الجانب الشهوائي، ولهذا الحجاب الدور الأصيل في مساعدة الإمرأة على انتهاج الطريق الإنساني الهادف إلى الصلاح والإصلاح.

٢ ـ تحريم أي عمل من الامرأة يثير الشهوة عند الرجل كلبس الثوب الشفاف أو التجمُّل المغري أو التكلم بصوت مفتن قال الله سبحانه في سورة الأحزاب ﴿**فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾[1] وفي مجمع البيان الخضوع بالقول هو ترقيقه وتليينه للرجال والمرض في القلب هو النفاق، كما يحرم على الرجل أن يتعامل بشهوة مع الامرأة في الشارع وفي غيره ما دامت لا تحل له بزواج شرعي، سواء بالنظر أم بغيره.

٣ ـ التشجيع على الزواج.

كما في معتبره علي بن رئاب عن محمد بن مسلم أن أبا عبدالله (ع) قال: (إن رسول الله قال: تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً في القيامة حتى أن السِّقط يجيء محبنطئاً على باب الجنة فيقال له ادخل

---

(١) الاحزاب آية ٣٢.

الجنة فيقول لا حتى يدخل أبواي الجنة قبلي)[1].

والظاهر من التكاثر هو العددي إلا أنه مع الحفاظ على المحتوى كما هو الملحوظ من متطلبات الشريعة فهي تريد الكثرة بما هي ملتزمة ومعتقدة، وهذه الكثرة لها مقامها يوم القيامة حتى أن السِّقط يشفع لوالديه.

والطريق إلى التكاثر الكمي والنوعي هو بالزواج الشرعي وباتباع المنهج التربوي الإسلامي الهادف.

ومن الروايات المشجعة على الزواج الروايات المتعرضة لاستحباب الإقلال من المهر، في حين أن للزواج أثر في اكتمال الشخصية كما ورد عن الرسول (ص): (من تزوج فقد أحرز نصف دينه).[2]

وعن أبي عبدالله (ع): (ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب)[3].

٤ ـ الالتزام بالآداب والإنضباط في السلوك نذكر أهمها: .

أ ـ مَلْء أوقات الفراغ: فإن الإحساس بالفراغ قد يوقع الإنسان في كثير من المتاهات والتفاهات، قال الإمام الصادق (ع) (إن الله يبغض كثرة النوم والفراغ)[4] فمن لديه الوقت الفارغ قد يحرج الآخرين بزيارته لهم في وقت أعمالهم، وقد يفتح العلاقات مع أناس ليسوا أهلاً للمعاشرة بحجة مَلْء الفراغ وهكذا.

بل الاحساس بالفراغ وقتل الوقت يسمح للإنسان أن يملؤه بأي

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ١٣.
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ٥ باب١ ح ١١.
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٦ باب ٢ ح ١.
(٤) الوسائل ج ١٢ ص ٣٩ ح١.

شيء ولو كان على خلاف المنهج الديني الفطري وبما لا ترتضيه الإنسانية بل يمكن القول أن الذي قد يقع فريسة الانحراف من الرجال والنساء هو نتيجة الفراغ الذي كانوا يحسُّون به، فمن يتصارع مع ابريق الشاي أو ركوة القهوة أو علبة الدخان إلى درجة يملُّ منها فهو يرحب بأي ضيف ولو كان عديم الأهلية للمعاشرة بل يرحب بأي بديل انحرافي غير خلقي وما يشاهد في الشارع في زماننا أحد الأدلة الكبيرة على ما نذكره. ومن هنا الواعي والعاقل من عَرَف كيف يملي وقت فراغه وعلى ذلك نحمل الروايات المشجعة على اتقان المهن اليدوية كالغزل وغيرها.

قال (ص) (وعلموهن المغزل وسورة النور)[1] ومن هنا نرى أن الامرأة التي تجلس مع صديقاتها وبيدها كتاب أو مغزل لها وقارها الخاص في قلوب الجلساء ولها هيبتها أكثر ممن جلست من أجل الكلام والدردشة ويتأكد على الأهل أن لا يتركوا أولادهم وبالخصوص البنات يتحسسوا بفراغ الوقت طويلاً أمامهم، وبنظري القاصر اشتغال الإمرأة أو الرجل ولو بترتيب الحديقة وتنقيب الأرض أشرف من الجلوس متكاسلاً على شرفة المنزل.

وسأطرح عدة احتمالات كبديل عن الفراغ: .

١ ـ التعلق بالكتاب والكتابة.

٢ ـ المغزل والخياطة والحياكة.

٣ ـ العمل بالأرض والعناية بالأشجار والأزهار.

٤ ـ تشكيل جلسات مفيدة في البيوت.

٥ ـ الزيارة الهادفة لبيوت المؤمنين كصلة الرحم أو عيادة المريض أو تقوية عرى الصداقة.

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ١٢٧.

٦ ـ الجلوس جلسة تأمل بالعالم فإن الصمت متأملاً بمخلوقات الله لا يطلق عليه الإحساس بالفراغ لأن المراد من الإحساس بالفراغ هو الجلوس جلسة الحيران لا يدري ماذا يفعل؟ يتململ من نظره إلى الساعة التي بيده.

ب ـ **الإعتناء بالجانب الثقافي**: فإنه ينجي الإنسان من الوقوع في كثير من الضلال العقائدي والسلوكي نتيجة الجهل قال الإمام علي (ع): (وعلموهن سورة النور فإن فيها المواعظ)[1].

وقال (ص): (وعلموهن المغزل وسورة النور)[2].

وكما هو المعلوم أن أهم عوامل الأنحراف الخلقي هو نتيجة الجهل وعدم الوعي المثقف ويشهد لذلك أن من المثقفين المتعلمين من لم يقع أسير الضلال ولو عاش في قوم ملؤهم الضلال والانحراف، نعم هذا مشروط بتحقق المتطلبات التي تبقي هذا المثقف صامداً أمام موجات الانحراف فإن النفس سرعان ما تنكسر أمام صوت الشهوة، ومن هنا على العاقل أن يفكر بالبدائل السليمة ولو كانت صعبة نوعاً ما، فإن تحمل الصعوبة مع السلامة أولى من تحقق اللذة مع الانحراف والضلال والتعرض لغضب رب العالمين وتنكر الوجدان والفطرة، بل يبقى المثقف يفرق بين الأكثر شراً والأقل شراً وبين ما هو أكثر ضرراً وما هو أقل ضرراً، ولا شك أنه سوف يميل إلى الأقل ضرراً ويبقى في دائرة أهون الشرين بخلاف الجاهل الذي لا يعطي لهذه الموازين أي قيمة مطلقاً بل تكون لديه المقاييس الشيطانية فيرتكب ما هو أكثر ضرراً بالحركة الاجتماعية مقابل إشباع غرائزه الذاتية.

ت ـ **الإحساس بعزه النفس مقابل الدناءة والامتهان** قال الامام

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ١٢٧.
(٢) الوسائل ج ١٤ ص ١٢٧.

علي (ع): (فإذا كانت المرأة مَزْهُوَّة لم تمكن من نفسها)[١].

والذي هو ملحوظ من معشر الناس، أن الإنسان إذا لم يكرِّم نفسه لا تكرمه الناس، وإذا كان في موضع رغبة كالمرأة فلا بد أن لا تسقط من أعين الآخرين بارتكاب ما يقلل احترامها سواء كان كلاماً أو تصرفاً أو حركة، لأن المدار هو أن لا يتحسس الآخرون أنها مبتذلة أو ساقطة أو مستهان بها، لأنه عندها تفقد دورها الطبيعي وتتحول من إنسانة ذات عطاء إلى وسيلة رخيصة لقضاء الحاجات وهذا هو المراد من الحديث المذكور

ث ـ **الحفاظ على الحياء في العلاقات الاجتماعية** سواء في الشارع أم في الأماكن العامة والخاصة.

قال الإمام علي (ع): (الحياء جميل ـ الحياء يصدُّ عن فعل القبيح ـ أفضل الحياء استحياؤك من الله ـ أحسن الحياء استحياؤك من نفسك)[٢].

وفي الدعاء: (وتفضل على النساء بالحياء والعفة)[٣].

ج ـ الاكثار من الهدوء مع قلة الثرثرة والكلام غير المفيد:

قال الإمام علي (ع): (قلة الكلام يستر العيوب ويقلل الذنوب ـ بالصمت يكثر الوقار ـ لا عبادة كالصمت)[٤]. وعن الصادق (ع): تفكر ساعة خير من عبادة سنة. وعن علي (ع): وكل سكوت ليس فيه تفكر فهو غفلة[٥].

---

(١) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٩٩٨.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٣) مفاتيح الجنات ص ١٦٦ في الاستغاثة بالحجة (عج).
(٤) تصنيف غرر الحكم ص ٢١١ ـ ٢١٤.
(٥) قصار الجمل ج ٢ ص ١١٨.

وإن لهدوء شخصية المرأة الأثر البالغ على الحياة الزوجية وعلى تربية الأطفال وأن الذي خوّل الجانب العاطفي في المجتمع ـ وهو المرأة ـ حَرىٌ به أن يكون كذلك لأن هدوء الشخصية هو الذي يسمح للعاطفة أن تأخذ كل مداها لتحضن بكل إطمئنان أي مشكلة تربك الزوج ولتكون المهديء الوحيد لعالم الطفولة الذي لا يعرف حداً لمتطلباته وكم هي مسؤولية الأهل دقيقة من ناحية صقل شخصية الفتاة وزرع الهدوء في نفسيتها، وبنظري القاصر أن الذي يفتش عن السعادة في حياته الزوجية فليطلبها عند شريكة حياته التي تطبعت بالهدوء وتخلقت به وكذا العكس.

ح ـ التحلي بالعبادة:

فإن غاية أدب المرأة بل كل إنسان هو في القيام بالعبادات الإلهية واتقانها، والمرأة تكون في أروع آيات جمالها عندما تتطهر وتنتظم في عبادة الله في صلاتها وقد علاها ثوبها الأبيض يغطيها وهي راكعةً ساجدةً مسبحةً طالبةً من مولاها قضاء الحاجات لها ولمن يعنيها.

ولم يجد الرسول (ص) أفضل وأحسن من التسبيح الذي منحه لابنته الزهراء (ع) المعروف «بتسبيح الزهراء» وهو ذكر كلمة «الله أكبر» أربعاً وثلاثين مرة «والحمد لله» ثلاثاً وثلاثين مرة «وسبحان الله» ثلاثاً وثلاثين مرة.

عن أبي جعفر (ع) قال: (ما عُبد الله بشيء من التحميدأفضل من تسبيح فاطمة (ع) ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله (ص) فاطمة (ع))[1].

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣.

خ ـ غضّ النظر:

قال الإمام علي (ع): (العيون مصائد الشيطان ـ الحياء غضّ الطرف ـ غضّ الطرف عن محارم الله سبحانه أفضل عبادة)[١]وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾[٢] ، والغضّ هو النقصان في الشيء والخمار غطاء الرأس للمرأة المنسدل على جنبيها والجيب هو الصدر والنحر[٣].

وغضّ البصر اذا صدر من العاقل فهو من آيات الجمال والإكبار فيه، ويستعان عليه بالخمود تحت سلطان الله سبحانه كما في جواب أمير المؤمنين (ع) عندما سئل: بماذا يستعان على غض البصر؟ فقال[٤]: بالخمود تحت السلطان المطلع على سرك والعين جاسوس القلوب وبريد العقل فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك.

واطلاق العنان للبصر له سلبياته من إيرات الشهوة والفسق والهم كما قال النبي عيسى (ع) للحواريين[٥]إياكم والنظر الى المحذورات فإنها بذر الشهوات ونبات الفسق. وكما قال الرسول (ص) عندما نزلت هذه الآية [ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى][٦] قال (ص)[٧]: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن اتبع بصره ما في ايدي الناس

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٣٧ ـ النور آية ٣١.
(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ٣٧ ـ النور آية ٣١.
(٤) مصباح الشريعة ص ٩ ـ ١٠.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) طه الآية ١٣١.
(٧) الميزان ج ٤ ص ٢٤١.

طال همه ولم يشف غيظه ومن لم يعرف أن لله عليه نعمة لا في مطعم ولا في مشرب قصر أجله ودنا عذابه.

إشتباه في المقام:

قد يتصور البعض أن الإسلام أطلق العنان في الترغيب بالزواج أو بتعدد الزوجات من غير مراعاة للجوانب التي تترتب على ذلك كتربية الأطفال تربيةً صالحة أو السعي بالبيت العائلي إلى أسمى آيات السعادة والهناء أو القيام بواجب أهم كطلب العلم والجهاد في سبيل الله، وإذا سئل هذا البعض عن آثار فعلهم هذا لا يكون المانع لديهم أن يجيبوا بحماس وشجاعة: «البيت مملكتي وأنا حرّ باختياري ومن لم يرضَ فليرحل».

وهذا اشتباه كبير في فهم معنى الزواج في الإسلام العزيز وسوف يتضح ذلك من هذاالعرض الآتي:

قال الشهيد الثاني: إعلم إن النكاح مستحب مؤكد لمن تاقت نفسه إليه أي اشتاقت... وأما من لم تتقْ نفسه إليه فهل هو مستحب في حقه أم لا؟ المشهور استحبابه أيضاً... وقال الشيخ في المبسوط أن من لا يشتهي النساء يستحب له أن لايتزوج[1].

وقال أيضاً: واعلم أن النكاح إنما يوصف بالإستحباب مع قطع النظر عن العوارض اللاحقة له وإلاّ فهو بواسطتها ينقسم إلى الأحكام الخمسة، فيجب عند خوف الوقوع في الزنا بدونه... ويحرم إذا أفضى إلى الإخلال بواجب كالحج.. ويكره عند عدم التوقان والطول ـ على قول ـ والزيادة على الواحدة عند الشيخ.. والمستحب كنكاح القريبة ـ على قول ـ للجمع بين الصلة وفضلية النكاح واختاره الشهيد في قواعده

---

(١) المسالك الحجرية ج ١ ص ٤٣٠.

والبعيدة ـ على قول ـ. . . والمباح ما عدا ذلك[1].

ومن وصايا هذا الشهيد لطالب العلم:

ولايغتر الطالب بما ورد في النكاح من الترغيب فإن ذلك حيث لا يعارضه واجب أولى منه، ولا شيء أولى ولا أفضل ولا واجب أضيق من العلم سيما في زماننا هذا[2].

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية نرى أن الروايات المتعرضة للزواج والمرأة على عدة أصناف:

الصنف الأول: ما يشجع على الزواج من أجل تجنب سلبيات العزوبة.

عن رسول الله (ص) (أكثر أهل النار من العزّاب)[3].

وعنه (ص): (من تزوج فقد أحرز نصف دينه)[4].

الصنف الثاني: ما يشجع على الزواج من أجل بناء الحياة السعيدة والتكاثر بالذرية الصالحة: .

عن أبي جعفر (ع): (قال: قال رسول الله (ص): ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله الا الله)[5].

وعن أبي جعفر (ع) قال: (قال رسول الله (ص): ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج)[6].

الصنف الثالث: بيان مشروعية الزواج في قبال الرهبانية وترك

---

(١) المسالك الحجرية ج ٢ ص ٤٣١.
(٢) منية المريد في آداب المفيد والمستفيدة ص ١٠٣.
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٧ ح ٧.
(٤) الوسائل ج ١٤ ص ٥ ح ١١.
(٥) الوسائل ج ١٤ ص ١٤.
(٦) المصدر السابق.

الزواج: قال أمير المؤمنين (ع): (تزوجوا فإن رسول الله (ص) قال: من أحب أن يتبع سنتي فإن سنتي التزويج)[1].

وقال الإمام علي (ع): (إن جماعة من الصحابة حرّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل فأخبرت أم سلمة رسول الله (ص) فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النساء إني آتي النساء وآكل بالنهار وأنام بالليل فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2].

وعن أبي عبدالله (ع): (من أخلاق الأنبياء حب النساء)[3].

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص): (جعل قرة عيني في الصلاة ولذتي في النساء)[4].

فإن هذه الروايات تؤكد على الجانب الناسوتي للأنبياء والأولياء وأنهم كسائر الناس يتلذذون بحلال هذه الدنيا.

فهم بشر بالأخير وليسوا بملائكة، ولا رهبانية في الإسلام، فالروايات هذه تريد هذا المعنى فقط، ومن الخطأ أن نفهم من هذه الروايات أن الأنبياء مفتتنون بالنساء كما هو الحال عند الجهّال من أهل الدنيا المنقطع نصيبهم من الآخرة.

الصنف الرابع: ما يحذر من الإفتتان بالنساء وحبِّهن: عن أبي عبدالله (ع): قال: (أول ما عُصِيَ الله تعالى بست خصال: حب الدنيا وحب الرياسة وحب النوم وحب النساء وحب الطعام وحب الراحة)[5].

وعن الإمام علي (ع): (إتقوا شرار النساء وكونوا من

---

(١) الوسائل ج ١٤ ص ٦ ح ١٤.
(٢) الوسائل ج ١٤ ص . ج ٨.
(٣) الوسائل ج ١٤ ص ٩ - ١٠ ح ٢ - ٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الوسائل ج ١٤ ص ١٢ ح ٦.

خيارهن على حذر)[1].

فإن هذه الروايات ناظرة إلى جانب الشر في المرأة باعتبار أنها في رأس المشتهيات لدى الرجل، وأنها وسيلة إغراء كبيرة في الفساد الاجتماعي إذا ما تحصنت بالآداب والتقى ويشهد لذلك أن الرواية الثانية تصنف المرأة إلى امرأة شريرة وإلى امرأة خيِّرة والرواية التي ورد فيها «المرأة شر كلها»[2] ناظرة إلى هذا الجانب من غير إشكال وتكون كلمة «كلها» للمبالغة من أجل إلفات النظر إلى هذا الجانب الذي ذكرناه.

الصنف الخامس: ما دلّ على جواز تعدد الزوجات: قال تعالى: **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورباع﴾**[3].

الصنف السادس: ما دلّ على القناعة بالميسور والرضا بالموجود: قال الإمام علي (ع): (من رضي بالمقدور اكتفى بالميسور)[4].

وقال (ع): (واقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم فإن المؤمن البُلْغة اليسيرة من الدنيا تقنعه)[5].

وقال (ع) (من قنع حسنت عبادته)[6].

وقال (ع): (كل الغنى في القناعة والرضا)[7].

وهذه الروايات تشمل باطلاقها مورد الزواج. والقسوع في حياته العاقل في تدبيره قد يكتفي بالزوجة الواحدة وتكون بقوة الزوجات

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٨.
(٢) المصدر نفسه
(٣) النساء آية ٣.
(٤) تصنيف غرر الحكم ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.

الأربعة في تحقيق رغباته وما ذلك إلا لأنه عرف كيف يتكيَّف مع هذه الواحدة، والمتحصل في مجموع ما تقدم: .

إن الزواج كما هو طريق لتهدئة فوران الشهوة هوالطريق المحقق للطمأنينة والسعادة، وحُكْمُهُ الأوَّليّ هو الاستحباب فإذا ما زاحم الواجب الأهم كجهاد الكفار أو طلب العلم فإن الواجب يقدم على المستحب ولذلك إذا كان تعدد الزواج يؤدي إلى ضياع العائلة وتفككها أو إلى تشريد العائلة واهمالها فالتعدد مرجوح ومرغوب عنه أما لو كان التعدد لمصلحة الإنجاب فيكون راجحاً كما هو الحال في راجحية الزواج لو كان تركه يؤدي إلى الوقوع بالمحرمات، والغرض كل الغرض من الزواج هو بناء الحياة السعيدة فمن الخطأ أن يتحول الزواج حجر عثرة أمام السعادة، وكم من عائلة كانت مستورة قانعة سعيدة وقد خربت عندما تم الزواج الثاني، وما ذلك إلا لأن الزواج الثاني وقع في غير محله وعند غير أهله، ولو وقع في محله وعند أهله لأحرز النجاح ووصل إلى الهدف المرجو من السعادة والإستقرار وبناء الذرية الصالحة، وإلى هذا المعنى يشير الحديث الشريف عن أبي عبدالله (ع) قال:

قال رسول الله (ص): (ما من لايء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر بالنكاح وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق)[1].

قال العلامة الطباطبائي في الميزان ص ١٩١ ج ٤:

وأما الاسلام فلم يشرع تعدد الزوجات على نحو الايجاب والفرض على كل رجل، وإنما نظر في طبيعة الافراد وما ربما يعرضهم من العوارض الحادثة، واعتبر الصلاح القاطع في ذلك ثم استقص مفاسد التكثير ومحاذيره وأحصاها فأباح عند ذلك التعدد حفظاً لمصلحة

(١) الوسائل ج ١٥ من كتاب الطلاق باب ١ ح ١ ص ٢٦٦.

المجتمع الانساني، وقيده بما يرتفع معه جميع هذه المفاسد الشنيعة (من تخييب آمال النساء وتسكين فورة الحب في قلوبهن فينعكس حس الحب الى حس الانتقام فيهملن أمر البيت ويتثاقلن في تربية الاولاد ويقابلن الرجال بمثل ما أساءوا، ومن ترغيب الرجال بالشره والشهوة وغير ذلك) وهو وثوق الرجال بأنه سيسقط بينهن ويعدل فمن وثق من نفسه بذلك ووفق له فهو الذي أباح له الدين تعدد الزوجات وأما هؤلاء الذين لا عناية لهم بسعادة أنفسهم وأهليهم وأولادهم ولا كرامة عندهم الا ترضية بطونهم وفروجهم ولا مفهوم للمرأة عندهم الا أنها مخلوقة في سبيل شهوة الرجل ولذته فلا شأن للاسلام فيهم ولا يجوز لهم إلا الازدواج بواحدة لو جاز لهم ذلك والحال هذه. انتهى.

وأما قوله تعالى: **﴿وإن خفتم الاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا﴾** النساء ـ ٣ ـ.

العدل هو في القَسْم والمراد به قسمة الليالي بين الزوجات وفي النفقة وهو القيام بما تحتاج اليه المرأة من طعام وادام وكسوة واسكان واخدام وآله الدهن والتنظيف تبعاً لعادة امثالها من بلدها والمرجع في الاطعام الى سدّ الخلَّة ويجب الخادم اذا كانت من أهله أو كانت مريضة وجنس المأدوم والملبوس والمسكن يتبع عادة امثالها والعدل: هو الجور.

وملخص الآية: إن المتزوج باكثر من واحدة إن خاف أن لا يعدل في توزيع لياليه على زوجاته أو أن لا يعدل في النفقة بأن ينفق على الواحدة دون ما تستحقه بحسب شأنها وهذا يختلف من امرأة إلى أخرى، فهنا إن خاف الجور وعدم العدل فالاكتفاء بالواحدة هو المطلوب حتى لا يسبب التعدد في الزوجات الجور والظلم والخروج عن العدالة إلى الفسق والعصيان لاحكام الله سبحانه، وعندئذ إما أن يكتفي بالواحدة لأن ذلك أقرب للعدل وعدم الظلم أو يكتفي بنكاح ألإماء وهي (ما ملكت ايمانكم) لخفة مؤنة الأمة عن الحرَّة، وبهذا يكون الرجل المؤمن أقرب للتقوى وأبعد عن الظلم وأدنى من رضا الله سبحانه

وقال الامام الخميني في التحرير ج ٢ ص ٢٧٦ م ٧: يستحب التسوية بين الزوجات في الانفاق والإلتفات وتسوية الوجه والمواقعة وأن يكون في صبيحة كل ليلة عند صاحبتها وأن يأذن لها في حضور موت أبيها وأمها وان كان له منعها عنه وعن عيادتهما فضلاً عن عيادة غيرهما وعن الخروج من منزله إلا لحق واجب.

تبقى مشكلة تحتاج إلى الحل وهي:

الكثرة العددية للفتيات واللواتي لم يأتِ نصيبهن وقد كنا نتكلم عن الزواج من ناحية الاكتفاء الذاتي وتحقق السعادة البيتية والآن نتكلم عن الزواج كحلٍ لمشكلة اجتماعية متراكمة، فعندما يكثر عدد الفتيات على عدد الشباب تتفتح مشكلة أمام الحركة الاجتماعية وكذلك الحال فيما لو ازداد عدد العوانس واللواتي لم يأتِ نصيبهن لكبرٍ أو لعاهة أو لترمل، وهنا لا بد من التصدي لهذه المشكلة التي يترتب عليها الكثير من اللوازم والآثار التي لا تحمد عقباها خصوصاً في المجتمع المحافظ على الآداب والدين والأخلاق.

ومن هذه الآثار:

١ ـ ميول الفتيات إلى الزينة والتجمل والبروز بشكل مُفتِن أمام الشباب والرغّاب، في حين أن الشباب المتعطش لتلبية غرائزه سوف يرى الفُرصَ مؤاتية لذلك وسوف يلحق بركب المتزيِّنات ولكلٍ طريقته في ذلك وهذه الحالة يترتب عليها كثير من الأغلاط والشواذات.

٢ ـ بروز حالة التشاؤم في نفوس البعض نتيجة الكبت وقطع الأمل وهذا له مردود سلبي على نفسية ذلك الإنسان المتشائم ولعل ذلك يولد حالة الغضب تارة أو حالة الاعتزال أخرى وسوف ينعكس هذا الواقع النفسي على تصرفات نفس هذا الإنسان كالعمل من دون إخلاص وعناية.

٣ ـ سوف يرى أصحاب الأهداف المنحرفة فرصة لتحقيق أهدافهم كالشركات غير الأخلاقية، ولا يكون المانع لدى الفتاة اليائسة من نصيبها والتي لم تتأدب بآداب الدين والأخلاق أن تعرض نفسها للدعاية على شاشة التلفزة أو تقبل بأي عملٍ ولو كان على حساب كرامتها وعفتها، والذي نراه في الشارع وغيره أكبر دليل على ذلك.

٤ ـ توجيه ضربة قاصمة لنمو الحركة الاجتماعية باتجاه الخير والصلاح لأن هذه الشواذات سوف تخرِّب النفوس ومن ثم التأثير السلبي على التربية للأجيال الصاعدة من الجنسين وسوف تشوِّه معالم الحضارة المتحصنة بالأخلاق والآداب بسبب السجايا الفاسدة التي سينشأ عليها الأجيال المتصاعدة.

وعليه لا بد من الوقوف على أهم الأمور المسبِّبة للمشكلة: .

١ ـ تزايد عدد النساء كتزايد نسبة العوانس.

٢ ـ الضغط الاقتصادي الذي يمنع الشباب من الإقدام على الزواج بل قد يساعد على نسبة الفراق بين المخطوبين وقد ذكر لي أحد القضاة أن نسبة الطلاق تتزايد في مثل هذه الأيام.

٣ ـ التصورات الخاطئة عن البيت الزوجي وأنه لا بد أن يكون واسعاً جداً ومفروشاً بالكماليات ومن دون ذلك لا يتم الزواج علاوة على غلوّ المهر، وهذا ما يسبب بعض العوامل المانعة من الزواج كما لو شرطت الفتاة أن يكون شريكها في الحياة موظفاً في دائرة محترمة أو أن لا يكون مجاهداً للأعداء.

٤ ـ الاتجاه نحو الغرب في الزواج مما يترك الأثر على عدم زواج بناتنا الشرقيات المسلمات في حين أن من الشرقيات ما هي محافظة وعاقلة ومديرة بيت، ولديها اللياقات الكاملة في تهدئة الوضع العائلي بشكل عام، وهذا الاتجاه سمح بالبعض من الرجال والشباب أن يشمت

ببناتنا وفتياتنا، وسمح بنفس الوقت أن تتطلّع المسلمة إلى الزواج من الغربيين على الرغم من حرمة مثل هذا الزواج.

العلاج والحل قد يكون بأحد العروض التالية:

١ ـ تعدد الزواج بشرط أن لا يسبِّب خرابَ العلاقة مع الزوجة الأولى وأن لا يكون عاملاً في هدم التربية الصالحة للأطفال وهذا شرطه الأولي المكنة المالية والاقتصادية. والاستعداد النفسي وكثرة الأولاد تعالج بقانون تحديد النسل المشروع.

نعم يحتاج ذلك إلى تبليغ وإعلام بحيث يصبح تعدد الزواج ظاهرة غير مستنكرة كما هو الحال في زماننا هذا وفي بلادنا.

٢ ـ تنازل كل من الرجال والنساء عن شرط الكماليات مما يفسح المجال أمام كثير من الحلول ويريحنا من كثير من العقد والاضطرابات الاجتماعية.

ومن جملة ذلك الرضا باليسير من المهر والفرش والدار والعمل.

٣ ـ تأمين فرص العمل أمام الشباب وتشجيع المؤسسات الخيرة على بناء أماكن سكنية متوسطة تؤجر بأسعار محمولة ومقبولة بالإضافة إلى تشجيع التواجد في القرى والأرياف بالطرق التي تحد من الهجرة إلى المدينة ولا بد من إعادة النظرة الجديدة في العمل وأن يتنازل الشباب عن شرطهم في كون العمل سهل غير شاق مما يفتح المجال للعودة إلى الزراعة والأعمال اليدوية والشغل بالأرض والأشجار.

٥ ـ العودة إلى أسس الدين ولقاعدة أن المرأة المسلمة أفضل من الكافرة ولو فاقت المسلمة بجمالها وكمالها لأن السعادة بالبركة من الله في البيت الزوجي ولا تكون إلا مع الإيمان بالله والتوكل عليه. نعم نحتاج إلى المتدين والمتدينة اللذين يعيشان مع الواقع وينطلقان في

الحياة من خلال العقل والاتزان والرقابة الذاتية بحيث يكون التدين حضارة وتمدن لا سقوط وتعثر وكم من متدين متزن جلب الخير له ولدينه ولمجتمعه وكم من متدين كان عثرة في وجه الدين والمجتمع ولم يقدر على أن يوفر لنفسه الراحة والسعادة.

٦ ـ إن المشاكل الكبيرة التي يعانيها المجتمع، قد تولد ظاهرة، هي عدم الثقة التامة بالآخرين، أو صعوبة تولد هذه الثقة، مما يجعل الفتاة تتردد في ثقتها بالشاب الطالب يدها وكذا العكس، ولا أدخل في التفصيل في ذلك والحل هو الاستعانة بأناس متفائلين غير شكاكين يستشارو ويستعان بهم في تقريب وجهات النظر ولعلّ كلمة صغيرة أثارت رغبةً وكلمة مثلها أثارت تنفراً، وشواهد ذلك كثيرة.

كيف تتحقق السعادة البيتية؟

السعادة عبارة عن الاحساس بالارتياح من دون أي معكِّر لصفو العيش مع التطلع إلى المستقبل بكل أمل وحماس بحيث الابتسامة والثقة المتبادلة تعمر الديار وتضفى على الواقع المعاش وقد ورد في تعريف السعادة إنها: الاستفادة القصوى من المرضيات الممكنة والابتعاد قدر الامكان عن المنغصات والآلام[١].

ولا شك أن هذه السعادة جوهرها التيام الأخلاق والاستعداد المتواصل لإزالة أي عائق بوجهها وهذا يختلف من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر لاختلاف العادات والتقاليد ولتفاوت المشكلات وأسباب الحياة ولاختلاف القناعات والتصورات ولذا قد نرى البيت السعيد في عائلة فقيرة لا نصيب لها وقد نرى البيت الفاشل الشقي في العائلة الغنية.

---

(١) الحكمة العملية للشيخ مرتضى المطهري ص ٢٩.

فالعائلة السعيدة هي التي تعرف كيف تتغلب على مشاكلها لأن المشكلة لا غنىً عن وقوعها مادام الناس كل الناس مختلفة في قناعاتها وفي تصوراتها وفي طموحاتها وفي كيفية النظر إلى الأمور وفي كيفية تقييم الواقع، وفي نفس الوقت تعرف كيف تأخذ بمفتاح السعادة وكيف تصعد على سُلَّم النجاح، فإن معرفة سر النجاح شيء يحتاج إلى جهد كما هو الحال في معرفة كيفية التغلب على المشكلة، وكل واحد يحتاج إلى جهد خاص به، فإن العائلة الفقيرة التي تواجه عادة مشاكل الحياة المتعددة كمشكلة البيت المتكامل ومشكلة التعليم والعمل وغيرها مما له دخل في الانفتاح على مجالات الحياة والتي قد تستلزم المشاكل النفسية كتولد الغضب أو حالة الكآبة أو الإحساس بالنقص والصغار أمام من لديه الارتياح الاجتماعي علاوة على مشاكل كل فرد من العائلة بحسب القناعة والطموح والحاجة، فهذه العائلة الفقيرة حتى تكون سعيدة لا بد أن تكون لديها الصفاة العامة كالقناعة والرضا بالموجود مع الصبر الذي يتربص أيَّ فرصة من أجل الخروج من المأزق وكذلك لا بد أن تكون هناك صفات خاصة يتمتع بها كل فرد من أفراد هذه العائلة لأن كل فرد له دوره ومشاركته في تحقق السعادة وفي عدمها فالمرأة عندما ترى واقع العائلة كذلك عليها أن تتحرك في بيتها الصغير بما هو صغير فلا تعيش في خيالها وطموحها الوهمي بحيث تعيش في بيتها الصغير وعيونها مشدودة إلى بيوت الجيران الكبيرة المتكاملة وعليها أن تخفف من طلباتها التي ترهق كاهل زوجها كما أن عليها أن تتكيف بالموجود وكأنها غنية عن أي شيء آخر وكذلك الحال الأولاد وأما الأب لهذه العائلة عليه أن يقدِّر ظروف واقعه فلا يقسو على المحيطين به عندما يرى تطلباتهم أزيد من الواقع.

ولا يقنع باليسر مع قدرته على تحقيق طموح الآخرين المتعلقين به الحاطين آمالهم عنده وعليه أن لا يعكس الواقع الفقير على نفسيته فيقبل على العائلة بقلب شجاع ونفس ملؤها الثقة مع ابتسامة تجدد الأمل عند

كل من حوله فلا يعكس الفقر غضباً أو عبوساً أو تذمراً ومللاً أو تشاؤماً.

وفي نفس الوقت عندما يرى امرأة متنوعة اللباس ومتزينة عليه أن يقدر ظرف زوجته التي لا تملك إلا لباسها البيتي والذي به تستقبل الضيوف وكذلك هذه الزوجة لا يأخذ بأحلامها ذاك الرجل الذي يمتلك اللياقات التي لم تتوفر في شريك عمرها فهو لم يتعلم، ولم يُرىٰ خلف زجاجات السيارة لأنه فقير وهكذا، فإذا توفر هذا الشعور المتفاني عندهما وفهمت المرأة دورها الواقعي الطبيعي وأنها تحتاج إلى الرجل القوي بجانبها فإذا ما وجدت بعض الخلل في شخصية زوجها عليها أن لا تظهر ذلك بل تعمل بكل ما في وسعها لمساعدته على دوره وحل مشاكله وتقوية نقصه فإن هذا يرجع إلى سعادتها الواقعية بخلاف المرأة التي تستغل هذه النقطة الضعيفة في شخصية رجلها فتتكبر وتستعلي عليه فإن هذا ليس في مصلحتها الواقعية ولا في مصلحة الواقع التربوي للأطفال فإن الرجل هو الرجل بنظر الأولاد وأن المرأة هي المرأة العاطفية بنظرهم.

وإن المرأة من غير الزوج القوي ناقصة في دروها فلا تزيد المشكلة مشكلة باستعلائها لأنها بذلك زادت النقص نقصاً وتعدَّى أثره السلبي منها إلى الأولاد، ولذا إن الله سبحانه جعل للرجل درجة على المرأة فالرجل هو الكلمة الحاسمة وهو اليد التي تجني الرزق وهو المشرف على التربية وهو المخطط والآمر والمرأة هي الكلمة الهادئة وهي العاطفة الجامعة والقلب الذي بحنانه يأوي إليه الأولاد وبهذا القلب تخفف مشاكل الزوج التي تتراكم عليه من جراء علاقاته الاجتماعية، والأولاد هم من يتلقى التدبير من الأب والحضانة من الأم، فلو انعكست الأدوار فلا شك أن الخلل سيترتب أثره على كل العائلة كأي خلل اجتماعي آخر كما لو استلم مسؤولية المجتع من ليس أهلاً لذلك فسوف يعم الإرباك على كل العلاقات الاجتماعية وإذا استلم

الحكم الولد خرب ذلك البلد وما ذلك إلا لانقلاب الأدوار وطبيعي إذا أعطينا طبيباً أدوات الهندسة فإنه سوف لا يجيد استعمالها وتكون نتائج عمله على غير المطلوب.

وتزداد أهمية مراعاة كل من الزوجين الآخر عندما تزداد مشاكل الحياة والمسؤوليات والانفتاحات على الآخرين كما هي الحال في العوائل الغنية والمعتدلة فإن الزوج عليه أن يشعر زوجته بأنها هي الثقة عنده وأنها في محط نظره على رغم عرض الأزياء والمفاتن في الشارع وغيره، وعليه إن رأى امرأة ملفتة لنظره أن يفكر طويلاً في الارتباط معها ولا يكون الارتباط بها حصيلة نظرة سريعة فإن الفراق سوف يكون سريعاً، وفي نفس الوقت على المرأة التي تعرف المغريات أمام زوجها أن تكون هي البديل البيتي له بكل ما للكلمة هذه من معنى لأن بقاء تعلق قلب الرجل خارج البيت له من المردود السلبي ما لاتحمد عقباه.

وأغلب المشاكل العائلية ترجع إلى قصور في فهم كل من الزوجين الآخر فتخطىء المرأة دورها وتترك زوجها تعيس بأحلامه، ويخطىء الرجل دوره ويدع زوجته فريسة المشاكل التي تدعوها تارة إلى الخيانة وأخرى إلى الانجرار وراء هذه الحضارة الكاذبة أو إلى الاحساس بضعف الشخصية المؤثر على العلاقة البيتية تربية وعشرة.

على المرأة أن تفهم جيداً من هو الرجل في حقيقته واين نقاط قوته واين نقاط ضعفه فتحترم نقاط قوته وتقدرها أو تقوي نقاط الضعف وتسترها وعليها أن تعرف سراً مخفياً في قلوب الرجال أن الرجل إن تعلق بامرأة تصبح عرضه وتبقي عرضه وكرامته على رغم المشاكل وقد يرى العجب عند البعض عندما يقول أنه يحب زوجته وهي تشكوه لأنه ضربها.

الحقيقة هي إن الرجل عندما تصبح المرأة جزء كماله وكرامته وأم أولاده وعيبه الذي يستره وإن ما يفضحها يفضحه إن لم يكن له وعي

ثقافي وديني سوف يقع بالتناقض بين الغيرة على العرض الذي يعبِّر عنّه بالمحبة والدفاع عنه حتى الموت وبين استعمال تمام ولايته عليها حتى لو أدى ذلك إلى الضرب والأهانة ولو سئل بعد ذلك تراه متندماً إلا أنه يقول أضربها لأنني أريدها كلها لي هذا لسان حاله الواقعي. وأنا لا أدافع عن سلبيات مثل هذه الإنسان ولكنني في مقام تحليل شخصيته وحقيقة فهمه للمرأة، فالمرأة التي تعرف هذا الأمر من الرجل وتكون واعية ومدركة أجزم بأنها تقدر أن تكون أقوى امرأة في نفسية هذا الرجل وأهم سر في ذلك، أن تنسحب في أي موقع هجومي وعصبي له، وفي حالة الهدوء تكثر من مداعبته ومسايرته، والرجل إذا ما وعى حقيقة المرأة وأنها الضعيفة بين يديه التي تأنس بالكلمة الحلوة وترتاح للهدية ولو كانت وردة وتموت في الرجل القوي الهادي وأنها الإنسانة التي بعد زواجها سوف تكون سجينة الأولاد والبيت والتربية بحيث ينقطع أملها من كل شيء سوى العائلة والزوج والأولاد، فإنه سوف يعرف أن اللين هو الطريق الأولي إلى قلب المرأة، كما عبَّر الإمام علي عليه السلام من أنها كالوردة وأنها كالزجاجة قوتها في مداراتها وبقاؤها بملاطفتها والمحافظة عليها، فإن أقسى قلب امرأة يركع عند اللين والملاطفة ولوازمها والاحساس بالحماية، عندما يعرف هذه الحقيقة، يعرف أن الأخطاء إن صدرت منها إنما هي عن ترسل لا عن تعمد أو لأن الموقف العاطفي يستدعي ذلك لا العقلي وإنما النقد عادة يرجع إلى التقييم العقلي لا العاطفي.

الإنسان والشبهات

قال في المجمع: سُمي الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق، والمشتبهات من الأمور المشكلات، واشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر.

وفي كلام لأمير المؤمنين (ع) لابنه الحسن (ع): .

وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق، فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يُعطى البقاء من أحبه)[1].

والوقوع بالاشتباه أمر عام البلوى لا يخلو منه إنسان سواء كان في الأمور الحياتية أم في خصوص الاعتقادات، إلا أن الشبهة في الاعتقاد أشد خطراً منها في غيرها لأنها ترتبط بقناعات كثيرة قد تمتد جيلاً بعد جيل وشبهة واحدة قد تكوّن انحرافاً هاماً في بنية المسيرة الاجتماعية وتكون سبباً في خلق الفرق المتعددة والمذاهب المتشتتة. وعمدة أعداء الإنسانية في الوصول إلى أغراضهم ومراميهم هي زرع الشبهات ليلتبس الطريق على الناس، وقد تبنى إبليس هذا النهج من الإغواء والقعود على الصراط وتزيين الأمور كما جاء في القرآن الكريم **﴿قال فبما أغويتني**

---

(١) من خطب نهج البلاغة رقم ٣٨ وفي شرح محمد عبدُه ج ١ ص ٨٩.

لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[1].

قال العلامة في تفسيره:[2] كل ذلك يدل على أن ميدان عمله هو الإدراك الإنساني ووسيلة عمله العواطف والإحساسات الداخلة فهو الذي يلقي هذه الأوهام الكاذبة والأفكار الباطلة في النفس الإنسانية كما يدل عليه قوله تعالى **﴿الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾**[3].

وفي مورد آخر يظهر بوضوح خط إبليس الإفسادي في الأرض كما في قوله تعالى: **﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإنْ يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم لأمنينهم ولآمرنّهم فليبتكُنّ آذان الأنعام ولآمرنهّم فليغيرنّ خلق الله، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾**[4].

وتفسير مفردات هذه الآية بما يلي:[5].

ـ الأنوثة: المراد بها الإنفعال المحض الذي هو شأن المخلوق إذا قيس إلى الخالق عزّ اسمه.

ـ **الشيطان المريد**: هو العاري من كل خير أو مطلق العاري.

ـ **اللعن**: هو الابتعاد عن الرحمة.

ـ **الإضلال**: يكون بالإشتغال بعبادة غير الله واقتراف المعاصي.

---

(١) الأعراف آية ١٦ ـ والقعود على الصراط كناية عن التزامه والترصدُ بعابريه ليخرجهم منه.

(٢) الميزان ج ٨ ص ٤٠.

(٣) سورة الناس.

(٤) النساء آية ١١٦ ـ ١٢٠.

(٥) الميزان ج ٥ ص ٨٣.

ـ **الأماني**: الآمال التي تصرفهم عن الإشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم فهي المتفرعة على وساوس الشيطان مما يستلذه الوهم من المتخيلات.

ـ **تبتيك آذان الأنعام**: هو شقّها والمراد تحريم ما أحلّ الله.

ـ **الأمر بتغيير خلق الله**: هو الأمر بالخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف وينطبق على مثل الإخصاء وأنواع المُثلة واللواط والسحق.

ـ **المواعيد**: هي الوساوس الشيطانية بلا واسطة.

والمتحصل من معنى الآية المباركة: إن إبليس أخذ على عاتقه إبعاد العباد عن الله سبحانه وعن عبادته وشكرانه وذلك باضلالهم نتيجة زرع الشبهات المُحْكَمَة في أذهانهم فيختلط عليهم الحق من الباطل وبإلهائهم بالآمال الخادعة ونتيجة ذلك أنهم سيدخلون في ولاية الشيطان الرجيم وهذا الإضلال تارة يكون من نفس إبليس وأعوانه وأخرى من شياطين الأنس الذين أجهز عليهم إبليس وارتضوه ولياً.

قال سبحانه: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾**(١).

والشيطان: هو الشرير غلب استعماله في إبليس.

والجن: من الجَن بالفتح وهو الاستتار وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة مستور عن حواسنا بحسب طبعها وهم غير الملائكة يذكر القرآن أن إبليس الشيطان من سنخهم.

والوحي: هو القول الخفي بإشارة ونحوها.

والزخرف: الزينة المزوّقة، فزخرف القول الكلام المزوّق المموّه

---

(١) الأنعام آية ١١٢.

الذي يشبه الحق وليس به.

ومعنى الآية:[1] ومثل ما جعلنا لك جعلنا لكل نبي عدواً هم من شياطين الإنس والجن يشير بعضهم إلى بعض وكأن المراد وحي شياطين الجن بالوسوسة والنزغة إلى شياطين الإنسة ووحي شياطين الإنسى إلى بعض آخر منهم بإسرار المكر والتسويل بأقوال مزوّقة وكلمات مموّهة يغرونهم بذلك غروراً أو لغرورهم وإضلالهم بذلك.

والذي يمكن أن نتصوره من كيفية حصول الإضلال والوقوع في الشبهة بعد هذا العرض لمعاني الآيات القرآنية ما يلي:

إن في الإنسان استعدادات كثيرة للإلتذاذ بأشياء متنوعة مادية كالإلتذاذ بالطعام والشراب وألوان المتعة الجنسية وما إليها من اللذائذ المادية أو المعنوية كالإلتذاذ الخلقي والعاطفي بقيم خلقية أو أليف روحي أو عقيدة معينة، حين يجد الإنسان أن تلك القيم أو ذلك الأليف أو هذه العقيدة جزء من كيانه الخاص، وهذه الإستعدادات التي تهيىء الإنسان للإلتذاذ بتلك المتع المتنوعة تختلف في درجاتها عند الأشخاص وتتفاوت في مدى فعليتها باختلاف ظروف الإنسان وعوامل الطبيعة والتربية التي تؤثر فيه، فبينما نجد أن بعض تلك الإستعدادت تنضج عند الإنسان بصورة طبيعية كاستعداده للإلتذاذ الجنسي مثلاً نجد أنّ ألواناً أخرى منها قد لا تظهر في حياة الإنسان وتظل تنتظر عوامل التربية التي تساعد على نضجها وتفتحها[2].

وعنذئذٍ إن أُهملت الجوانب المعنوية التكاملية لم يبقَ في الإنسان إلا الغرائز الحيوانية والميول المادية التي تتمحور حول حب الذات وبغض ما

(١) الميزان ج ٧ ص ٣٢١.

(٢) راجع فلسفتنا ص ٣٤ ـ ٣٥. ومثله الأربعون حديثاً للإمام الخميني في أوائل الحديث الخامس.

يؤلمها[1] وتكون هي الحاكمة في كل تحركاته الاجتماعية، وكلما قويت هذه الجوانب المادية كلما ضعفت الجوانب المعنوية وكلما توغلت النفس في العالم الشهوائي كلما ضعف فيها الإتزان والتزكية والرشد ووقتها تكون النفس قابلة لإيحاءات إبليس وأعوانه من دون أي رادع عقلي أو فطري لكثرة الشبهات، ولأن الإستعدادت الخيرة في بنية هذا الإنسان قد ضعفت عن مقاومة الآمال الكاذبة والمغريات الجاذبة.

وعندها يكون هذا الإنسان فريسة الغرور القاتل، والغرور[2]هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهةٍ وخدعةٍ من الشيطان وهذا مركب من أمرين:

أحدهما اعتقاد النفس بأن هذا خير لها مع كونه خلاف الواقع وثانيهما حبها وطلبها باطناً لمقتضيات الشهوة أو الغضب.

ويشهد لما قلناه مناجاة الإمام زين العابدين (ع) بقوله: «إلهي أشكو إليك عدواً يضلني وشيطاناً يغويني قد ملأ بالوسواس صدري وأحاطت هواجسه بقلبي يعاضد لي الهوى ويزِّين لي حب الدنيا ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى، إلهي إليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً وبالرّين والطبع متلبساً، وعيناً عن البكاء من خوفك جامدة وإلى ما يسرها طامحة»[3] ومناجاته (ع) الثانية: «إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة وإلى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مولعة ولسخطك متعرضة تسلك بي مسالك المهالك وتجعلني عندك أهون هالك كثيرة العلل طويلة الأمل إن مسَّها الشرّ تجزع وإن مسّها الخير تمنع ميالة إلى اللعب واللهو مملوّة بالغفلة والسهو تسرع بي إلى الحوبة وتسوفني التوبة»[4].

---

(١) كما في فلسفتنا ص ٣٦.
(٢) جامع السعادات ص ٣ ـ ٤.
(٣) الصحيفة السجادية ـ مناجاة الشاكين ص ٢٣٥.
(٤) الصحيفة السجادية ـ مناجاة الشاكين ص ٢٣٥.

والغرور الذي تقدم من أهم الموبقات التي يقع الإنسان في شباكه وقد حذّر منه القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾**[1].

والمعنى ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربّصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الأماني والآمال الطوال حتى جاء أمر الله بالموت وغركم بالله الغرور الشيطان أو الدنيا[2]، والمغرورون بالدنيا باعث غرورهم قياسان وبرهانان نظمهما الشيطان في قلوبهم[3]:

الأول: إن الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة وإن المقدَّم الملموس تتعلق به النفس أكثر من المؤخر الموعود.

الثاني: إن لذّات الدنيا يقينية ولذّات الآخرة مشكوك فيها واليقيني خير من المشكوك فلا يترك، مع أن جواب الشبهة هذه واضح فإن الدنيا مَعْبَرٌ للآخرة وليست بدائمة وأن الآخرة واقعة لا محالة وهي خالدة ولا شك بأن الخالد أفضل من الفاني وبما أن الصادق أخبرنا بوقوع الآخرة فتكون متيقنة لا شك فيها ثم المشكوك هو ما لم يقم عليه البرهان والآخرة قد قام عليها البرهان. ولا يقف حد الغرور على الإغترار بالدنيا بل يتعداها إلى الإغترار بالله وذلك:

إن المغرورين بالله يقدِّرون في أنفسهم ويقولون[4]: إن كان لله معاد فنحن فيه أَوْفَرُ حظاً وأَسَعْدُ حالاً من غيرنا كما أخبرالله سبحانه عن قول أحد الرجلين المتحاورين: **﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددتُ إلى**

---

(١) الحديد آية ١٤.
(٢) تفسير السيد بشير ص ٥٠٤.
(٣) جامع السعادات ص ٦ ـ ٩.
(٤) جامع السعادات ص ٦ ـ ٩.

ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً﴾[1].

وباعث ذلك ما ألقى الشيطانِ في روعهم من نظرهم مرةً إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما يحكي القرآن حالهم **﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾**[2] ومرةً ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء محتاجون فيقولون لو أحبهم الله لأحسن إليهم في الدنيا ولو لم يحبنا لما أحسن إلينا فيها فلما لم يحسن إليهم في الدنيا وأحسن إلينا فيها فيكون محباً لنا ولا يكون محباً لهم فيكون الأمر في الآخرة كذلك كما قال الشاعر: كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي[3].

والجواب عن هذه الشبهة الشيطانية واضح فإن إكرام الله لعباده وعدم الإكرام مقياسه التقوى لا النعم الدنيوية مع أن نظام هذا الكون لا يستقيم إلا بتفاوت الدرجات فمن الناس من هو مريض ومنهم من هو صحيح ومنهم من هو فقير ومنهم من هو غني سواء كان الكافر غنياً أم فقيراً وسواء كان المؤمن صحيحاً أم سقيماً والحساب إنما يكون على الأعمال وما تقدمه الأيادي فمن عمل صالحاً فقد بلغ درجة الرضى الإلهي وإلاّ فهو في سخط من الله سبحانه فهذا الصنف من الناس ممن غرتهم أنفسهم بالأوهام الباطلة فاغتروا بالدينا واغتروا بالله تراهم يقتحمون المعاصي ويرتكبون المظالم وهم يحسبون أنفسهم أنهم يحسنون صنعاً وأنهم على الحق وفي طريق الكمال وإذا وُعِظوا تأذوا لذلك لأنهم لا يرون لأنفسهم أنها تستحق الوعظ والإرشاد، حاكمين على أنفسهم أنهم على الحق وأن الحق يتمحور حول مواقفهم وآرائهم

(١) الكهف آية ٣٧.
(٢) المجادلة آية ٨.
(٣) نقل عن جامع السعادات ص ٦ ـ ٩ بتصرف قليل لا يخل بالمطلوب.

ودون ذلك هو الباطل وتراهم يصدون عن سبيل الخير وهم مستكبرون، بل يصل بهم الأمر إلى التكلم بلسان أهل الحق ورواد الفضيلة، وفي نفس الوقت تكون أيديهم ملطخة بدماء الأبرياء والمستضعفين من الناس، مبرِّرين جرائمهم بأنها على طبق العدالة ومن أجل الحق العام والحفاظ على المصالح العامة، وها هو نمرود يبرر قتل النبي إبراهيم (ع) بأن ذلك نصرة لآلهتهم كمّا تصوّر له غروره بأنه هو على الحق مع أن النبي إبراهيم أقام الحجة عليه وأن الأصنام لا يمكن أن تتكلم ولا يمكن أن تكون رباً وإلهاً لهذا العالم إلا أنّ الذي وقف بوجه هذه الحقيقة أطماعه الشخصية وأن اعترافه برب إبراهيم سوف يخسره وجاهته وربوبيته على الناس في حين أنّ وهمه الباطل زين له أن ترببه على الناس هو الحق وما دون ذلك هو الباطل للنفع الكبير الذي سوف يحصل عليه من خلال هذه الدعوة الباطلة.

والإمام علي (ع) يعجب من أهل الزيغ والشبهات بقوله:[1] «فيا عجباً! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب، يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المهمات على آرائهم كأنّ كل امرئٍ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرىً ثقاتٍ وأسباب محكمات».

والشبهات المستحكمة في الأفراد على اختلاف رتبتهم كثيرة ولكل شبهة سبب خاص بها فمثلاً: شبهة التعدي على كرامات الناس بإظهار عيوبهم في ظهر الغيب المسماة بالغيبة قد يكون سببها الحقد أو الانتقام أو الحسد أو داعي حب الرفعة بين الناس وحب المدح والثناء فيصور له

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٨٨.

وَهُمُهُ أن ذلك لا يتم إلا بالنيل من كرامات الآخرين وتحطيمهم، وشبهة ترك العبادة قد يكون من ورائها عامل الكسل وحب الخمول أو البخل كما في عدم دفع ضريبة الخمس، وشبهة جريمة القتل قد يكون من ورائها حب الترؤوس والجاه أو حب المال وغيره من زينة الحياة الدنيا وهكذا، ولسوف نعرض ثلاث حالات تاريخية لأهل الشبهة:

١ ـ موقف عمر بن سعد من الإمام الحسين (ع):

عمر بن سعد رجل كان يعرف الكثير عن الإمام الحسين (ع) وكان يعرف أنه من رجالات الجنة وأنه أحد سيدي شبابها وكان يعرف أن قتله أو أيّ أذية تلحق به من الموبقات الكبيرة حيث يظهر ذلك جلياً في محادثته مع الإمام الحسين (ع) بين الصفّين في كربلاء عندما قال له (ع): «ويلك يا بن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك تقاتلني وأنا ابن من علمت، ذر هؤلاء القوم وكن معي فإنه أقرب لك إلى الله تعالى»، فقال ابن سعد: أخاف أن تهدم داري» فقال الحسين (ع): «أنا أبنيها لك»، فقال: «أخاف أن تؤخذ ضيعتي» فقال الحسين (ع): «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز»، فقال: «لي عيال وأخاف عليهم» ثم سكت ولم يجبه إلى شيء فانصرف عنه الحسين (ع) وهو يقول: «مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله لأرجو أن لا تأكل من بُرِّ العراق إلا يسيراً» فقال ابن سعد: «في الشعير كفاية مستهزءاً بذلك القول»[(١)].

ومع هذا يسمح لنفسه أن يقول عندما ابتدأ المعركة يوم العاشر من المحرم: «يا خيل الله إركبي وابشري بالجنة»[(٢)].

إنه في موقع التحدي الصريح لرسول الله ولدين الله ومع ذلك يتكلم بكلام القديسين ويعتبر جنوده هم جنود الله ويبشرهم بجنات

---

(١) مثير الأحزان ص ٥٢.
(٢) مثير الأحزان ص ٥٤.

الخلد على ما يقدمون عليه من إبادة جماعات خرجوا لطلب الإصلاح في أمة محمد (ص).

نعم إنها الشبهة المستحكمة التي أعمت طريق الحق عليه قد زيّن له إبليس جمال وعظمة الملك والجاه وأَلْهَاهُ عن تكليفه الشرعي وواجبه الإنساني، حيث ظهر هذا الحال على فلتات لسانه حين كتب له ابن زياد[1]: «فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنا قد أمرناه بأمرنا والسلام».

فقال ابن سعد للشمر وقتئذٍ: «مَالَكَ وَيْلَكَ لأقَرَّبَ الله دَارَاكَ وقَبَّحَ الله ما قدمتَ به عليَّ».

فبقوله: «لا قربّ الله دارك» أبرز ما في مكنون نفسه من حب الجاه والتقرب إلى السلطان والترؤوس كما هو لسان أكابر القوم مع أنبيائهم (ع) كما في قوله تعالى **﴿قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾**[2] وبقوله: «وقبّح الله ما قدمت به علي» تصريح بأنه يعلم من يقاتل وأن قتاله يسخط الله سبحانه وتعالى إلا أنّ حب الدنيا غلب عليه وسلب منه عقله وأَنْسَاه آخرته فَدَلاَّهُ الشيطان بغرور ولذا لم يخفِ هذه النتيجة عندما قال له الشمر[3]: أخبر ما أنت صانع أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوّه؟ وإلاّ فخلِّ بيني وبينه وبين الجند والعسكر فقال له: «لا ولا كرامة لك ولكن أنا أتولى ذلك فدونك فكن أنت على الرجالة.

٢ ـ موقف معاوية من إمام زمانه علي (ع):

معاوية هو ذاك الرجل الداهية الذي لم يستنكف أن يستعين بأي

---

(١) مثير الأحزان ص ٥٣ ـ ووقعة الطف لأبي مخنف ص ١٨٨.
(٢) يونس آية ٧٨.
(٣) مثير الأحزان ص ٥٣.

وسيلة من أجل التوصل إلى مآربه الخاصة وليس لديه المانع من استعمال الأضاليل الكاذبة والإفتراءات الخادعة ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء المحترمة أو التشويه لوجه الإسلام العزيز، وهو الذي دخل الإسلام كرهاً لا طوعاً يتطاول إلى خلافة المسلمين وقد جهز جيش الشام ليحارب إمام زمانه المفترض الطاعة عليه متذرعاً بحجة المطالبة بدم عثمان في حين أنه يعلم أن بيعة الناس لأمير المؤمنين كانت بنفس الطريقة التي بويع بها الخلافاء الثلاثة من قبل ويعلم أن الأمير (ع) بريء من دم عثمان جملة وتفصيلاً، ونهج البلاغة يحمل لنا الكثير عن حقيقة هذا الرجل ففي مكاتبات الإمام علي (ع) له:

«وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليّ واعفِ الفريقين من القتال، لتعلم أيّنا المَرِينَ على قلبه والمغطى على بصره، فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي، ما استبدلتُ ديناً ولا استحدثتُ نبياً وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه كارهين وزعمت أنك جئت ثائراً بدم عثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً. . .»[1].

ويكتب له: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار. . .»[2].

وقال (ع) في وصف هذا الرجل: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رَحْبُ البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني فأما سبي فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة وأما البرءاة فلا تتبرأوا منيٍّ فإني ولدتُ

---

(١) رسالة رقم ١٠ من نهج البلاغة.
(٢) رسالة رقم ٦ من نهج البلاغة.

على الفطرة وسبقت إلى الإسلام والهجرة»[1].

٣ ـ موقف محمد بن الشلمغاني عند ارتداده:

هو المعروف بابن أبي العزاقر وكان وجيهاً عند قومه بني بسطام، وكان قد جعل له هذه المنزلة الحسين بن روح (رض) فعندما ارتد كان يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسندهُ عن الشيخ أبي القاسم (وهو أحد نواب الحجة (عج) الأربعة) فيقبلونه منه ويأخذونه عنه حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا وأقاموا على تولِّيه وذاك أنه كان يقول لهم: إنني أذعت السِّرَّ وقد أخذ عليّ الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الإختصاص لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلاّ ملك مقرَّب أو نبي مرسل أو مؤمن متحن، فيؤكد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته. وعندما ورد اللعن بحقه كان جواب هذا الضال المضل بعد أن بكى بكاء عظيماً: «إن لهذا القول باطناً عظيماً وهو إنَّ اللعنة الإبعاد، فمعنى قوله لعنه أي باعده الله عن العذاب والنار والآن قد عرفت منزلتي، ومرَّغ خديّه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر»[2].

وبعد هذا العرض للشخصيات المنحرفة هذه لا بد من أن نُنّبه على أمر هو: إنَّ الله سبحانه وسعت رحمته بني آدم وجعل لهم هادِيْين ومرشدَيْن وبواسطهما لا يقع أحدهم في أحضان الشبهات وبنفس الوقت لا يكون ممن يزينون الشبهة للآخرين، وعن هذين الهاديين يتكلم الإمام الخميني المقدس بقوله[3]:

«ولما كانت عناية الحق تعالى ورحمته قد وسعت بني الإنسان في الأزل جعل لهم سبحانه حسب تقدير دقيق نوعين من المربي والمهذِّب،

---

(١) من خطب نهج البلاغة رقم ٥٧.
(٢) راجع البحار ج ٥١ ص ٣٧١.
(٣) الأربعون حديثاً ـ الحديث الخامس عشر ص ٢٧٣.

بمثابة جناحين يطير بهما من حضيض الجهل والنقص والقباحة والشقاء إلى أوج العلم والمعرفة والكمال والجمال والسعادة، ويحرِّر نفسه من ضغط ضيق عالم الطبيعة إلى الفضاء الرحب الملكوتي الأعلى وهما: المربي الباطني المتجسد في العقل والقدرة على التمييزبين الحَسَن والقبيح، والمربي الخارجي المتمثل في الأنبياء والأدلاء لطرق السعادة والشقاء، وكل منهما لا يؤدي دوره بدون الآخر، إذْ أنّ العقل البشري عاجز عن معرفة طرق السعادة والشقاء، واكتشاف الطريق إلى عالم الغيب ونشأة الآخرة كما أن هداية الأنبياء وإرشادهم لا تكون مؤثرة بدون إدراك العقل والقدرة على التمييز، فالحق منحنا هذين النوعين من الموجّه لكي نجعل الطاقات المكتنزة والاستعدادات الكامنة في النفوس تتحرك من القوة إلى الفعلية والظهور، وقد وهبنا الحق المتعالي هاتين النعمتين الكبيرتين لنا امتحاناً واختباراً، لأن الإنسان يتميز أفراده بعضهم عن بعض، ويتم الفصل بين السعيد والشقي والمطيع والعاصي والكامل والناقص. كما قال ولي المؤمنين (ع): والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلُنَّ غربلة».

حِكَم عشر تنجي من الضلال والوقوع في الشبهات:

١ ـ الاعتصام بالله دون غيره.

قال تعالى: ﴿**الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين**﴾ النساء ١٤٦.

٢ ـ التحسس بالعبودية لله.

قال تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ الفاتحة. ﴿**بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾ (الزمر ٦٦).

٣ ـ طاعة أولي الأمر وأهل الصواب.

قال تعالى: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ النساء ٨٠.

وعلي (ع) هو نفس الرسول (ص) كما في آية المباهلة ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين**﴾ آل عمران ٦١.

النتيجة: من يطع الرسول وعلي ابن أبي طالب فقد أطاع الله تعالى.

٤ ـ حب آل محمد والاقتداء بهم.

قال تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ الشورى ٢٣.

وقال تعالى ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ الأحزاب ٣٣.

وقال تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ حجرات ١٣.

النتيجة: بما أن الميزان للكرامة عند الله هي التقوى كما نص على ذلك القرآن، وبما أن الناس كلهم عبيد الله، فإذا امتازوا فإنما ذلك بالتقوى، والأكرم عند الله هو الأتقى، نفهم أن وجوب محبة قربى رسول الله لمميز لهم، والمميز هو التقوى ولو كان هناك من هو أتقى منهم لأمر بحبهم ومودتهم دونهم، فالأمر بمودتهم دليل على أنهم الأتقى من كل إنسان بعد الرسول (ص) ولا مثيل لهم أبداً، ومن المعلوم أنه ليس كل قريب من رسول الله هو كذلك بدليل أن فيهم من هو كافر كأبي لهب، فيكون وجوب المودة لصنف خاص من ذوي القربى، وهم الذين اذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً وهم[1] علي وفاطمة

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٣٧٤.

والحسن والحسين والأولاد التسعة من ولد الحسين عليهم جميعاً سلام الله أبداً وهم الاثنا عشر خليفة، يقومون بالأمر من بعد الرسول، وكلهم من قريش، كما تواتر نقل خبر الاثني عشر خليفة عند الشيعة والسنة. (بحث حول المهدي للسيد محمد باقر الصدر ص ٦٥ ـ ٦٦).

٥ ـ عدم التعصب.

قال تعالى: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ الزمر ١٨.

٦ ـ الصبر على نوائب الدهر.

قال تعالى: ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ البقرة ١٥٥.

٧ ـ محاسبة النفس.

قال تعالى: ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**﴾ آل عمران ١٣٥.

٨ ـ العداوة مع إبليس.

قال تعالى: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً**﴾ فاطر ٦.

٩ ـ اليقين بالآخرة حق اليقين.

قال تعالى: ﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة وهم موقنون**﴾ لقمان ٤.

١٠ ـ التجارة مع الله وحب الشهادة.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا. هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم**

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز الكبير وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ الصف ١٠ ـ ١٣.

وهذه الوصايا العشرة النيِّرة بنظري القاصر أراها السبيل الوحيد للوصول إلى رضا الله وبنفس الوقت هي المنفذ الفريد لتقارب الأفراد والجماعات الذين فرقتهم الطرق السياسية أو المذهبية أو الطائفية أو العائلية لأنها الأسس التي يشترك بها الجميع، وكما هو الملحوظ إنَّ العاقل المنصف لا يحيد عنها، لأنها في وجدانه وفي صميمه وبأقل تأمل نرى أن من وقع فريسة الصراع هو الذي أهمل هذه الوصايا ولم يراع حدودها بدقة وليس التمسك بهذه الوصايا مجرد شعار ولقلقه لسان بل عن عقيدة ودراية وقناعه ووضوح.

الإنسان في مقومات شخصيته العامة

ولسوف اقتصر على ذكر أهم العناصر العامة المقوِّمة للشخصية من غير الدخول في آثار كل عنصر على نفسية المرء:

١ ـ طاعة الله سبحانه:

إن من يعيش في دنيا مملوءة بالنعم التي لا تحصى والتي ابتدأها رب المملكة من غير سبق سؤال ويدرك ذلك كله لا بد أن يتجه في طريق الطاعة والعبادة لأن ذلك أدنى ما يتصور من المواقف الأخلاقية والتي تتجسد في قانون شكر المنعم، والله سبحانه لا يوجد شكر يليق بساحة قدسه إلا الطاعة له ولأوليائه.

وكل إنسان واقعي يدور في خلده هذه الأسئلة التالية: من خلقني ولماذا وماذا أراد منِّي؟.

فمن لم يقف بتأمل في هذه الأسئلة هو الإنسان الساقط اجتماعياً وإن ألبسه الناس ثوب الحضارة والثقافة.

قال الإمام زين العابدين (ع) في رسالة الحقوق: (فأما حق الله الأكبر فأن تعبده لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، وحق نفسك عليك أن

تستعملها بطاعة الله عز وجلّ)[1].

٢ ـ الوفاء بالعهد:

قال الرسول (ص): (لا دين لمن لا عهد له)[2].

٣ ـ القرب إلى القلوب:

عن رسول الله (ص) (ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الهيِّن القريب الليِّن السهل)[3].

٤ ـ الاعتدال في الموقف مع الآخرين:

في وصية الإمام علي (ع) لابنه الحسن (ع): (يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظْلِم كما لا تحب أن تُظْلَم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك)[4].

٥ ـ استشارة أهل الرأي:

قال الإمام علي (ع): (شاور في حديثك الذين يخافون الله)[5].

وعن الباقر (ع): (قيل لرسول الله (ص) ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم)[6].

٦ ـ ما تقدم من النقد الذاتي.

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ٣ من رسالة الحقوق.
(٢) البحار ج ٧٤ ص ٩٦.
(٣) البحار ج ٧٥ ص ٥١.
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٢٩.
(٥) البحارج ٧٥ ص ١٠١.
(٦) البحار ج ٧٥ ص ١٠٠.

٧ ـ نصرة المظلوم:

عن أبي عبدالله (ع) قال: (ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلاّ كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله في الدنيا والآخرة)[١].

٨ ـ الاكتفاء الذاتي والإستغناء عن الآخرين:

عن الصادق (ع): (ثلاثة هنَّ فخر المؤمن وزينه في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس وولاية الإمام من آل محمد (ع))[٢].

٩ ـ أداء الأمانة.

عن الصادق (ع): (أدِّ الأمانة ولو إلى قاتل الحسين بن علي (ع))[٣].

١٠ ـ التعامل مع المرأة بعيداً عن النظرة الحيوانية الشهوائية وكذا العكس كما تقدم في محله تحت عنوان: «المرأة في المجتمع».

١١ ـ التعامل مع الناس بصدق من غير تلوُّن:

عن الباقر (ع): (بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً إن أعطي حسده وإن ابتلى خذله)[٤].

١٢ ـ الثقة بالناس:

قال الأمير (ع): (أطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ٢٠.
(٢) البحار ج ٧٥ ص ١٠٧.
(٣) البحار ج ٧٥ ص ١١٣.
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٢٠٢.

له عذراً) وقال: (إطرحوا سوء الظن بينكم فإن الله عزّ وجلّ نهى عن ذلك)[1].

١٣ ـ تجنب معاداة الرجال والإقلال من العدو:[2].

في قول الأمير (ع) لبنيه: يا بَنِيَّ إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم والكلام ذَكَر والجواب انثى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج ثم انشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا ومن داری الرجال فقد أصابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقَّر الرجال فلن يُهابا

١٤ ـ التواضع في محله: .

قال الأمير (ع): (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وتواضع من غير منقصة وجالس أهل الفقه والرحمة وخالط أهل الذلّ والمسكنة وأنفق مالاً جمعه في غير معصية)[3].

١٥ ـ مجالسة العلماء وأهل الصلاح:

قال لقمان لابنه: (يا بني صاحب العلماء وأقرب منهم وجالسهم وزرهم في بيوتهم فلعلك تشبههم فتكون معهم واجلس من صلحائهم فربما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها فيصيبك، وإن كنت صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء فربما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم)[4].

١٦ ـ اختيار الصديق الصالح:

عن أبي عبدالله (ع): (إن الذين تراهم لك أصدقاء إذا بلوتهم

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ١٩٤.
(٢) البحار ج ٧٥ ص ٢٠٩.
(٣) البحار ج ٧٥ ص ١١٩.
(٤) البحار ج ٧٤ ص ١٨٩.

وجدتهم على طبقات شتىً، فمنهم كالأسد في عظم الأكل وشدة الصولة ومنهم كالذئب في المضرّة ومنهم كالكلب في البصبصة ومنهم كالثعلب في الروغان والسرقة صورهم مختلفة والحرفة واحدة ما تصنع غداً إذا تركت فرداً وحيداً لا أهل لك ولا ولد إلا الله رب العالمين)[1].

١٧ ـ سياسة الحذر:

ـ الحذر من سوء الزمان وموت القلوب: قال النبي (ص): (يأتي على الناس زمان إذا سمعت باسم رجل خير من أن تلقاه فإذا لقيته خير من أن تجربه ولو جرَّبته أظهر لك أحوالاً، دينهم دراهمهم وهمتهم بطونهم وقبلتهم نساؤهم يركعون للرغيف ويسجدون للدرهم حيارى سكارى لا مسلمين ولا نصارى)[2].

وعن أبي عبدالله (ع) قال: (اتقوا الله على دينكم واحجبوه بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقيه له، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير لو أن الطير تعلم ما في جوف النحل ما بقي فيها شيء إلا أكلته ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا)[3].

ـ الحذر من السلطان والعدو.

قال الرضا (ع): (إصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامَّة بالبشر.

ـ الحذر من أمور:

---

(١) الاختصاص ص ٢٥٢ ـ تبصبص الكلب إذا حرَّك ذنبه طمعاً أو خوفاً وصال استطال وراغ روغاناً ذهب يمنة ويسرة في سرعة خديعة ـ كما في المجمع ـ.

(٢) البحار ج ٧٤ ص ١٦٦.

(٣) البحار ج ٧٤ ص ٣٩٨ ـ النحلَة هي النسبة بالباطل ومنه انتحال المبطلين ـ المجمع ـ.

عن الأمير (ع): (احذر العاقل إذا أغضبته والكريم إذا أهنته والنذل إذا أكرمته والجاهل إذا صاحبته)[1].

وقال الصادق (ع): (لا تثقنّ بأخيك كل الثقة فإن صرعة الإسترسال لا يستقال)[2].

١٨ ـ الترفع عن أي انحطاط خلقي:

فلا غش ولا خيانة ولا تهمة ولا إذلال ولا سخرية ولا أذية ولا سباب إلى غير ذلك من الأمور الذميمة.

قال الرسول (ص): (ألا أنبئكم مَن المسلم؟ من سلم الناس من يده ولسانه ألا أنبئكم بالمهاجر؟ من هجر السيئات وما حرّم الله عليه ومن دفع مؤمناً دفعة ليذله بها أو لطمة لطمة أو أتى إليه أمراً يكرهه لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه ويتوب ويستغفر، فإياكم والعجلة إلى أحد، فلعله مؤمن وأنتم لا تعلمون وعليكم بالأناة واللين، والتسرع من الشيطان، وما من شيء أحب إلى الله من الأناة واللين)[3].

وأخيراً: إنه بمثل هذه المقومات نتعرَّف على أسباب السقوط للفرد في التجربة الاجتماعية، وعلى أسباب النجاح، ومن ثَمَّ يمكن أن يتضح الجواب عن كثير من التساؤلات التي أثيرت بوجه الدين والتديُّن بلحاظ سلوك المسلمين، فإن الناس لغلبة الجهل عليها وبعدها عن الواقع قلبت عليها الأمور واشتبهت، فصارت تحاكم المعتقدات على حسب سلوك الناس وإن كان هذا المعتقد لا يمتّ بأي صلة مع هذا

---

(١) البحار ج ٧٤ ص ١٦٦.
(٢) البحار ج ٧٤ ص ١٧٣.
الاسترسال الاستيناس والطمأنينة.
وصرعه: طرحه على الأرض.
واستقاله: رفعه من سقوطه.
(٣) البحار ج ٧٥ ص ١٤٩.

السلوك، حتى صار أقدس دستور إلهي في معرض التقييم من خلال سيرة المسلمين ولو كان هؤلاء المسلمون لا يعملون به، خصوصاً في مثل زماننا حيث الذي يحكم في الناس الدساتير الغربية وثقافتها، ومع هذه الظروف الحرجة للإسلام ترى بعض الناس يحمِّلون كل سلبية تصدر من المجتمع إلى الإسلام في حين لم يُسمح لقوانين الإسلام أن تأخذ دورها الفعال في بناء الإنسان بكل مقوماته. فإذا ما تربّى شخص في أحضان الثقافة الغربية ولا يعرف شيئاً عن الإسلام، فلماذا نُحمِّل الإسلام تبعيَّة تصرفات هذا الرجل وإن كان في الهوية مسلماً؟.

الإنسان والولدنة بعد التعقل

الإنسان في مرحلة الطفولة يعيش من غير أي ضابط ورادع ولا يعترف بحدود ولا قِيَم، يريد كل شيء حتى لو كان محالاً فهو الطليق بلا حدود والحر بلا انضباط، فهو الذي إذا رأى قرص الشمس حاول أن يتناوله بطراوة أنامله، وإذا شاهد السمكة في الماء ألقى بنفسه إليها ليصارع الماء بأنفاسه البريئة وإذا ما اقترب من جمر الموقد سارع إليه ملتقماً له فإذا به صارخاً من حر اللظى وألم النار، وإذا بكى لشيء ما فلا يهدِّئه إلا ثدي أمِّه أو ما ينسيه بكاءه، وسرعان ما ينسى وما أبطأ ما يتذكر الماضي، مفترشاً ذراعيه لكل ما يراه ولو كان أكبر من طاقته، وهو الذي يبكي متى شاء ولو كان على حساب نوم العائلة، ومع هذا إنها البراءة الخارجة عن حد المسؤولية والإدانة الملتمس لها العذر على كل حال ويبقى الحال كذلك أو ما يقاربها إلى أن يبلغ سن الرشد وعندئذٍ يقف بوجه مشتهايته اللامحدودة عائقُ القانون والزاجرُ العقلي فيحد منها ويحجز ميوله كما هو الحال في العوائق الطبيعية، فهي مرحلة طلب التكامل والتسامي، عندها يجدر به أن يرتدي ثوب الإنسانية الواعية، ولأجل ذلك يُعطى وسام العاقل والعالم والمفكر، إلا أن الكمال العلمي يعطي ثماره الواقعية إذا دمج مع التهذيب الروحي والأدب المعنوي، الموصل ذلك كلُّه إلى حقيقة ذلّ العبودية أمام عزّ الربوبية.

وأي فصل بين العلم وتهذيب النفس يفقد العلم محتواه ويكون

وسيلة دمار وطغيان وإفساد في الأرض.

وإلى ذلك أشار المقدَّس الخميني (رض) بقوله:[1].

فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبودية إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلمي وركب مركب السير الفكري يقع في حجاب العلم ويصل إلى المقام الأول للإنسانية ولكن هذا الحجاب من الحجب الغليظة وقد قالوا إن العلم هو الحجاب الأكبر، ولا بد للسالك أن لا يبقى في هذا الحجاب وأن يخرقه ولعله إذا اقتنع بهذا المقام وسجن قلبه في هذا القيد يقع في الإستدراج، والإستدراج في هذا المقام هو أن يشتغل بالتفريعات الكثيرة العلمية ويجوِّل فكره في هذا الميدان فيقيم لهذا المقصد براهين كثيرة فيحرم من المنازل الأُخَر ويتعلق قلبه بهذا المقام ويغفل عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلى الفناء في الله ويصرف عمره في حجاب البرهان وشُعَبِهِ وكلما كثرت الفروع يصير الحجاب والإحتجاب عن الحقيقة أكثر ـ انتهى.

وهذه المرحلة تكون قابلة لتوجيه الإرشادات والتأديبيات والمواعظ والعبر كقول[2]علي عليه السلام عندما رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة:

يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أما الدور فقد سكنت وأما الأزواج فقد نكحت وأما الأموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟!.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أَمَا لو أُذِن لهم في الكلام لأخبروكم أن «خير الزاد التقوى».

---

(١) الآداب المعنوية للصلاة ص ٣٦.
(٢) نهج البلاغة باب الحكم رقم ١٣٠ ـ فرط: المتقدمون.

ويقول الصادق (ع)[1]: عن عيسى بن مريم أنه كان يقول: «إن موسى أمركم أن لا تزنوا وأنا آمركم أن لا لا تحدِّثوا أنفسكم بالزنا فإن من حدّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق فافسد التزاويق الدخانُ وإن لم يحترق البيت». والإنسان في خضم تجربته الاجتماعية تارة يتوفق إلى سلوك طرق الاتزان في ميوله الفطرية وإدراكاته الذهنية فلا تقوى غرائزه الشهوائية والسبعية لتطغى على قواه العقلية والوجدانية، وعندئذٍ يكون الإنسان المؤدب في دنياه، غير الخارج عن طاعة رب هذه المملكة التي نعيش بها؛ وأخرى يطغى ويخرج عن الآداب وعن طريق الاعتدال والإتزان ويكون أسير الشهوة فهذا الإنسان يمكن أن نقول بحقه: إنه سيعود إلى «مرحلة الطفولة والولدنة من جديد» ونريد بها مرحلة الخروج عن حد المسؤولية والإنضباط لأن الفارق كبير بين الطفولة كبداية وبين الطفولة كنهاية، والأولى تبقى في عالم البراءة والنزاهة التي يلتمس لها العذر أما الثانية فهي عالم الإدانة والمسؤولية واستحقاق العقوبة عقلاً، وإن أطلقنا عليها اسم الطفولة والولدنة فإنما ذلك للمشابهة بين المرحلتين بالخروج عن حد القانون ولأجل التهكم والإنكار لهذا الواقع الأليم الذي يصدر ممن يدّعون أنهم كبار وعقلاء وفي مقام المسؤولية، ففي حلبة الصراع الاجتماعي ترى هذا العاقل الكبير يعود إلى الولدنة من جديد إذا ما حدّثته نفسه بمركز اجتماعي مرموق، كإدارة مؤسسة أو إمامة مسجد أو رياسة نادٍ أو زعامة مجموعة من الناس فتراه يعطي المبررات لنفسه كخطوة أولى.

وأنَّ تحركه حرصاً عل المصلحة وغِيرةً على تحصيل الفائدة العامة وكخطوة ثانية يُقدم عل المشكلة بدافع الأنانية، يستحلّ من خلالها كل حرمة لمن يريد أن ينافسه، فيتجاهر له بالعداء ويصدِّق عنه كل تهمة

---

(١) نقله صاحب كتاب الطفل بين الوراثة والتربية عن الوسائل، مصدر رقم ٢ ص ٥٩.

ويرميه بكل ظنه مشهِّراً بعيوبه أمام الملأ، هذا سواء كان يملك قدرات خصمه أم لا أو كان مؤهلاً لهذا المنصب أم لا فرجع إلى مقولة أريد كل شيء لا لغيري، فلا يرى إلا ذاته فاتخذها إلٰه كما قال تعالى ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾[1] ولأجلها يفعل ويمتنع، وما تستلتذه نفسه هو الحق وسواه الباطل، يعدّ نفسه من المصلحين والصالحين وهو مستحق للعنة الإلهية والإنسانية، قتله غروره كما قال تعالى ﴿**قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾[2].

هذا كله إذا لم يستدعي الحفاظ على مصالحه وأنانيته سفك الدماء وهتك الحرمات المصونة وإلا فهو الذي يمتطي جواد الفتنة في ميدان الصراع الدموي وعندها ينتظر اللحظة التي يقال فيها أنه هو المنتصر وأنه هو البطل ولو كان وراءه الآلام المبرحة والمشاهد المحزنة للإنسانية.

وهذه المرحلة من الولدنة لا تفرق بين ما لو كان الخصم على الحق وهاد إلى الرشاد كالأنبياء والأولياء والصالحين أو كان من قبيله من أهل حب السلطنة والرياسة والذات لأن الأنانية وحب الرياسة لا صداقة لها ولا رحم ولا دين والشواهد التاريخية أكبر دليل على هذا وهي متكررة في كل زمن، وزماننا يزخر بالأعاجيب من هذه الأصناف. إلا أن الخصومة القوية ستكون هي الأشد مع أولياء الله لأنهم في مقابل الشر المطلق ولا يجتمع الكفر مع الإيمان وإن جمعتهم الظروف الاستثنائية ضمن سياسة الجوار أو الهدنة أو غير ذلك كما قال الله سبحانه: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما**

---

(١) الفرقان آية ٤٣.

(٢) الكهف آية ١٠٣ ـ ١٠٤.

أعبد لكم دينكم ولي دين﴾[1].

والعلاج لهذا المرض الوبيل، هو برجوع الإنسان إلى عقله ووجدانه ودراسة تجارب المجتمع والاستفادة من زلات من وقع فريسة غروره وشرِّه، مع التوجه إلى وجود الله تبارك وتعالى الذي وضع له الملوك نَيْرَ المذلّة على أعناقهم فهم من سطواته خائفون، مع التوجه إلى حالة الموت وترك الديار والأموال والمغريات والدخول في القبر وحيداً فريداً والحشر بين يدي الله تبارك وتعالى حيث لا يصاحبه آنذاك إلا أعماله المكتوبة في صحائفه. (والتي سوف تتجسد في حالات تناسبها في النعيم أو الجحيم)

سبل العيش المشترك:

ومع الالتفات إلى أن الإنسان اجتماعي بطبعه فأن التصابي في زمن المسؤولية سوف يقفل كل السبل من أجل عيش مشترك، والحركة الاجتماعية الناجحة هي التي وفرت كل الأدوات للتقارب وخففت من حدة التشجنات المورثة للتجانب، ولعل أهم سبب يقرب الناس إلى بعضهم البعض، هو الاقتناع المسبق بأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ من غير أولياء الله سبحانه بالاضافة إلى أنه لا بد من التغاضي عن أخطاء الآخرين على قاعدة (غض النظر عما حصل ويحصل) ما دام ذلك من المتعارف عليه ومتوقع الحصول.

ولا يعني التغاضي هذا السكوت عن أمور يجب التنبيه إليها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل المراد التغاضي عن أمور هي عالقة في ذهنية أفراد لا يقدرون أن يتعقلوا غيرها ومن الصعب أن يغيروها بسرعة كالخجل عند الإنسان فإنه يتعامل معه وكأنه غير خجول ولو اختجل

---

(١) سورة الكافرون.

يغض النظر عن ذلك وكالغضوب فإنه يتعامل معه وكأنه غير غضوب ولو غضب يغض النظر عن غضبه وهكذا وبدون ذلك لا يقدر الإنسان أن يخالط من يوجد لديه مثل هذه الأمور التي لا يرتضيها، هذا بالاضافة إلى النقاط التالية:

١ ـ التنازل عن فكرة (القوة هي كل الحلّ)، فإن الإنسان بعقله يقدر أن يحلّ المعقدات والمعضلات مما يعجز عنه الحديد والسلاح، وبكلمة تفك المشاكل العويصة مما يعجز عنه الضرب والخصومة، وبدون الحلّ الواحد يوجد الحلول الكثير وكما قيل: إن قمة الجبل واحدة والطرق عديدة للوصول إليها فإذا استحالت طريق جربنا الطرق الأخرى.

ويرشدنا إلى ذلك: .

قوله تعالى: ﴿إدفع بالتي هي أحسن السيئة[1]﴾.

وقوله تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾[2].

٢ ـ التنازل عن فكرة (إلغاء أياً كان من الناس)، فإن الناس كلهم أولو مشاعر وأحاسيس ولهم فكرتهم وقناعاتهم ولعل رجلاً نحتقره لديه من المواهب ما لا يوجد في غيره، ولعلّ مصلحاً اجتماعياً في قفص الاتهام عند الناس، ولعلَّ نبياً من أنبياء الله ورسله في عزلة من قومه، ولعلَّ صاحب الحق مبعَّد وصاحب الباطل مقرَّب، ومن قال أن الآخرين لا يفهمون ولا يعقلون؟.

ويرشدنا إلى ذلك:

قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤن﴾[3].

---

(١) المؤمنون ٩٦.
(٢) الزمر ١٨.
(٣) الزخرف ٧.

قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾[1].

٣ ـ تشكيل هيئة عامة من قبل العقلاء والفعاليات الواعية من أجل النظر في كل مشكلة تحصل، ولهذه وقعٌ في النفوس ودعم للحق وانها تمنع المشاكل أو تقلل من آثارها وهذا أهم سبيل هادىء في طريق الحركة الاجتماعية الهادفة.

ويرشد إلى ذلك:

قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فإن أراد فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾[3].

وحلف الفضول الذي أثنى عليه الرسول (ص) بعد مبعثه بقوله: (حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت إلى مثله لأجبت).

وكان من أبرز الدوافع لهذا الحلف محاربة الظلم والفساد والانتصار للمظلوم من أي عنصر كان[4].

---

(١) الحجرات ١١.

(٢) الشورى ٣٨.

(٣) البقرة ٢٣٣.

(٤) سيرة المصطفى ـ للسيد هاشم معروف الحسني ص ٢٧.

الإنسان والحذر من المواقف العاطفية

تمهيد:

الإنسان ذو الإرادة الواعية إذا ما اعتقد بدين الله نتيجة دعوة العقل والوجدان لذلك، عليه أن لا يفقد صورته الإنسانية نتيجة هذا الاعتقاد بما يستلزم من المواقف العاطفية، في حين أن الدين الإلهي وظيفته صقل الشخصية الإنسانية والمحافظة عليها في قالبها الأتم المتكامل، وصيانتها من أي مؤثر فيها يؤدي إلى تشويش تلك الصورة النقية، وما دام الإنسان ميّال بفطرته إلى الجانب الاشتهائي الغرائزي مع قابليته لأي موقف عاطفي، يتأكد فيه المحافظة على اتزانه وكماله، والأخذ بكل قوة بنصائح الدين لأن الدين إنما يصون الشخص ويكمِّله طالما تحرك الشخص بهذا الاتجاه وأخذ بنصائح الشرع وتناهى عن نواهيه باختياره وارادته، وعندها يأخذ الإنسان دوره الطبيعي ويبقى تأثره بالدين وتأثير الدين فيه بما يتناسب مع تكامله ورشده. ونشير إلى بعض المواقف العاطفية التي يبتلي بها من حمل المعتقد والتي قد يقع بها ولو بدافع الغيرة على مذهبه ومعتقده غافلاً عما تستلزمه من السلبيات الخطيرة التي تهدد التجربة الاجتماعية بالفشل.

١ ـ التعصب

عرِّف التعصب بأنه اتجاه نفسي جامد مشحون انفعالياً أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو ضد جماعة أو شيء أو موضوع[١]. وهو مكتسب متعلم[٢].

وفي لسان العرب: العصبية والتعصُّب المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه نصرناه.

وعرفاً: هو الدفاع عن جهة وعن قناعاتها بحيث يرى باطلها حقاً وغيرها على باطل ولو كان محقاً.

وأما ما ورد من قبل النبي (ص) والأئمة (ع): .

فعن الإمام زين العابدين بعد أن سئل عن العصبية قال: العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم[٣].

وعن الأمير (ع): (إن كنتم لا محالة متعصبين فتعصبوا لنصرة

---

(١) علم النفس الاجتماعي الطبقة الرابعة سنة ١٩٧٧ ص ١٧٦ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٧٧ .
(٣) ميزان الحكمة ج ٦ ص ٣٣٥.

الحق وإغاثة الملهوف)[١].

وعن الأمير (ع): فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المُجَداء والنُجَداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودة[٢]. . . .

فيستفاد مما ذكر أن التعصب منه الحَسَن الذي لا يدخل في مفهوم الحمية والعصبية الجاهلية المذمومة ومنه المذموم المرغوب عنه والأول عبارة عن الانتماء المخلص المشحون بالعاطفة الجياشة التي تَحْمِل صاحبها على تحملّ المشاق وجراحات الأسنة والسيوف من غير أيِّ تراجع عن أي موقف قانوني دعت إليه الشريعة المقدسة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**خذوا ما آتيناكم بقوة**﴾[٣] وقال سبحانه ﴿**فلذلك فادعُ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم**﴾[٤] والأخذ بقوة يعني الشدة عن غير تراخي والجدية من دون هزل والتصميم الواعي المقرون بالتحرُّق من أجل بلوغ الأهداف على قاعدة مراعاة الحكمة والتي هي أحسن. والثاني هو التعصب المذموم والعصبية الجاهلية والتصلبُّ من غير حكمة فترى المتعصب يدافع عن الأخطاء من غير تدبّر، شرار قومه خير من خيار قوم آخرين، يتخذ المواقف التبرعية والأجوبة العشوائية، من دون أن يعرف الحدودلكلامه ومواقفه مما يؤدي إلى الكثير من السلبيات غير المحمودة كإثارة التشنجات وإشاعة المنفرات وإماتة الخلقيات ولا يكون وقتها مجال للحجة والبرهان.

فالتعصب والتصلُّب بهذا المعنى يكون حجر عثرة بوجه المدّ

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٦٩ ـ وميزان الحكمة ج ١ ص ٣٣٧.
(٢) ميزان الحكمة ج ٦ ص ٣٣٧. الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٠.
(٣) الأعراف آية ١٧١.
(٤) الشورى آية ١٥.

الإسلامي الشامخ ويكون رجاله من قطاع الطريق إلى الله، وفي المثل «ومن الحب ما قتل».

وكما ترى أن التعصب لنصرة الحق وإغاثة الملهوف وإقامة حدود الله وأخذ الدين بقوة لا ينافي بأيٍّ وجه الإقبال على أهل الباطل بالتي هي أحسن والحوار معهم بالحجة والبرهان أو فقل: إن الحرص على إقامة الدين كما قد يستلزم الشدة في بعض المواقف كذلك يستلزم اللين في بعضها الآخر.

قال تعالى: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم بلِّغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**﴾[3].

قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية الأخيرة[4]: ولازم ذلك الاعتناء التام بكل طريق يرجى فيه الوصول إلى هداية ضال والفوز بإحياء حق وإن كان يسيراً فإن الحق حق وإن كان يسيراً والمشرك غير المعاهد وإن أبرأ الله منه الذمة وأهدر دمه ورفع الحرمة عن كل ما يعود إليه من مال وعرض لكنه تعالى إنما فعل به ذلك ليحيى حق ويبطل باطل فإذا رجي منه الخير منع ذلك من أيّ قصد سيء يقصد به حتى يحصل اليأس من هدايته وإنجائه.

---

(١) المؤمنون آية ٩٦.
(٢) البقرة آية ١١١.
(٣) التوبة آية ٦.
(٤) الميزان ج ٩ ص ١٥٣

الشخصية المتعصبة:

بالاستقراء وجد أن الشخص المتعصب يفضل استخدام العقاب الجسمي... ويميل إلى صلابة الرأي... والتسلطية ويتصف بجمود الفكر وجمود الاتجاهات وعدم المرونة ويهتم بالمكانة الاجتماعية والقوة ويتأثر بسهولة بأصحاب مراكز السلطة ويميل إلى العدوان والقلق إلا أنه قد يكبته ويظهر مؤدباً هادئاً ويسقط عدوانه وقلقه على الجماعات التي يتعصب ضدها[1].

وعيوب التعصب[2]:.

١ ـ انه يباعد بين الناس ويؤدي الى التشاحن والصراع.

٢ ـ أنه يؤدي بالمتعصب إلى أن ينظر إلى خصومه نظرة عداء.

٣ ـ يدفع المتعصبين إلى القيام بسلوك لا أخلاقي أو مضاد للمجتمع.

٤ ـ يؤدي إلى الازدواجية في المتعصب لأنه سوف يرى أن تعصبه يتعارض مع مبادئه العامة مثل اعتقاده بالمساواة بين البشر وإيمانه بالعدالة والحرية وهكذا.

٥ ـ أنه يربك العلاقات الاجتماعية فلا تعطى الحقوق ولا يستفاد من الطاقات ويؤدي إلى تحكم الأقلية أو استبداد الأكثرية بالأقلية.

التخفف من التعصب ومقاومته:

نادى الإسلام عالياً بمقاومة التعصب ومن أجل إقامة التفاهم بين الجماعات المختلفة.

---

(١) علم النفس الاجتماعي ط ٤ سنة ١٩٧٧ ص ١٧٩.
(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ ـ نقل بتصرف.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ سورة الحجرات ١٣.

وقال تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيني وبينكم ألا نعبُد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهد بأنا مسلمون**﴾ آل عمران ٦٤.

وقال تعالى: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ الزمر ١٨.

فهذه الآيات بمجموعها تفيد ما يلي:

تشجع على الاختلاط والاتصال بين كل الجماعات. من غير تخصيص.

وتبث روح التعاطف بين الأفراد والجماعات وتدعو إلى الاطلاع ونشر المبادىء الصحيحة واتباع الأحسن. مع وجود أدلة خاصة تعني باصلاح الأفراد والجماعات وذلك على صعيد التربية الصالحة أو منع الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل كل تعاليم الدين هي من أجل تهذيب الفرد واصلاح الجماعات.

٢ ـ قطع الأمل من عودة المخالف إلى الهدى

هذه المسألة من جملة ما يرافق الإنسان في حركته الاجتماعية ولها أسبابها ونتائجها، ولعل أهم أسبابها ترجع إلى التعصب أو الحسد أو الحقد، أو الطمع، فيقال هذا على غير هدى لأنه من العائلة الفلانية أو لأنه أفضل مني فأحسده فلا أقبل أن يعدّ من جملة المؤمنين أو لأنه قد ارتكب بحقي ما أنتقم لأجله الآن أو لأنه لو شاركنا لنافسنا على مناصبنا ومكانتنا ويكون ذلك سبباً للإحتفاظ بسجله السلبي على الدوام.

ومن آثار هذه المسألة علاوة عن قباحة الموقف الذي أخذه ذاك المحاكم للآخرين أنها تورث عدم الثقة عند الطرف المحكوم عليه وقد تضطره إلى اتخاذ موقف التذبذب والعداء وشيوع ذلك يستلزم النيل بسهولة من كرامات الآخرين مما يؤدي إلى إرباك كبير في العلاقات الاجتماعية المرجوّة.

والإسلام ينادي عالياً برصّ الصفوف والتسامح وبالأخص سياسة الانفتاح على الناس في تبليغ الرسالة، ومعنى ذلك أن تزال العوائق التي تمنع الناس من دخول الإسلام لا أن تزرع، وتزال الحواجزلا أن تثبت، وقطع الأمل من عودة من يخالف الشرع الأقدس إلى الهداية والرشد هي من جملة الحواجز التي تزرع في طريق الإسلام، ومن الواضح إن

وارتكاب الذنب لا يعني بأي وجه عدم إمكانية التوبة والهداية واظهار التوبة لا يستلزم كون ذلك حيلة يراد من خلالها التوصل إلى المآرب الخاصة، وارتكاب الحمق الاجتماعي لا يعني كقاعدة مطردة أن الفاعل أحمق على الدوام، نعم قد تصدق هذه القضايا في البعض لاقترانهم بما يورث الريب والشك خصوصاً فيما يرجع إلى المصالح الاجتماعية العامة إلا أن المشكلة في تقنين القاعدة الكلية في المقام وبين أيدينا نماذج من الأدلة العامة المشيرة إلى ما تقدم:

قال تعالى: **﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً﴾**[1].

وعن الصادق (ع) (قال: أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يواخي الرجل على دينه فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما)[2].

وفي رواية حمران قال: (سمعت أبا جعفر (ع) يقول: إذا كان الرجل علي يمنيك على رأي ثم تحوّل إلى يسارك فلا تقل إلا خيراً ولا تبرأ منه حتى تسمع منه ما سمعت وهو علي يمينك فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الله (كناية عن تمام القدرة والإحاطة) يقلبها كيف يشاء ساعة كذا وساعة كذا وإن العبد ربما وفق للخير)[3].

في حين لو نظر الحاكم على الآخرين كيف كان من قبل، ونظر إلى أخطائه لرأى أن محاكمته للآخرين ظالمة نوعاً ما، وعليه لو بدلت المحاسبة من محاسبة الغير إلى محاسبة النفس لأراحنا ذلك من كثير من المشاكل الاجتماعية، ولعادت نظرة التفاؤل إلى دورها الطبيعي، تاركة المجال لعودة أهل الضلال إلى ربوع الهدى، وبقي الأمل بالإصلاح

---

(١) هود آية ٣١.
(٢) البحار كتاب العشرة ج ٧٥ ص ٤٨.
(٣) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ٤٨.

والصلاح مفتوحاً أمام عشاق الحقيقة والرشد الاجتماعي.

وفي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:[1].

(طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

وقال (ع): (أشرف خصال الكرم غفلتك عما تعلم).

بل ينبغي للإنسان أن يظن بأخيه خيراً إذا ما سمع عنه شيئاً يتنفر منه كما ورد في حديث الإفك قال سبحانه وتعالى: **﴿لولا إذْ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبينٌ﴾** النور ١٢.

هذا بالإضافة إلى الالتفات إلى الأسباب الموجبة لهذه النظرة الضيقة للآخرين، ومعالجة كل واحدة منها بحسب ما يناسبها فيعالج التعصب وكذا الحسد والحقد والطمع بحسبه وبما يناسبه ولعله بعد ذلك تخف هذه الأمراض الاجتماعية الموبوءة.

---

(١) البحار كتاب العشرة ج ٧٥ ص ٤٦.

٣ ـ العزلة والإنكفاء على الذات

الإنزواء هو الإعتزال وله معانٍ:

١ ـ تارة يراد به ترك معاشرة كثير من الناس وحصرها في عدد محدود ممن يأنس بهم كأنس الأم بطفلها وأنس الأب بأولاده وأنس الصديق الحميم بصديقه بحيث لا يرى الوحشة من الناس بل يرى أحدهم إما أخاً له في الدين أو أخاً له في الخلق إلاّ أنه انتخب البعض ليدع عنده أسراره ويبث لديه شكواه ويبادله في كثير من خصوصياته فإن ذلك ليس بمستنكر ما دام هذا لا يضر بالوظائف العامة بل هو ميل طبيعي فإن القلوب تأنس أنسها الخاص بمن تميل إليه.

٢ ـ وأخرى يراد به الأنس بالوحدة والوحشة من معشر الناس بحيث يستلزم ذلك ترك الواجبات الاجتماعية كصلة الرحم والجهاد في سبيل العائلة ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والدفاع عن حُرَم الإسلام العزيز فإن هذا مذموم عقلاً لقبحه وشرعاً لمنافاته مع ذوق الشريعة الداعية إلى الإلفة والإئتلاف عدا النصوص الواردة في ذم مثل هذه العزلة، قال الأمير (ع): (فَقْدُ الأحبة غربة)[1].

وقد ورد (إنّ أبا الحسن (ع) سئل عن أفضل العيش فقال: سعة

---

(١) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ١٧٨.

المنزل وكثرة الأحبة)[1].

عن الصادق (ع) (لولا الموضع الذي وضعني فيه لسرني أن أكون على جبل لا أعرف الناس ولا يعرفوني حتى يأتيني الموت)[2].

٣ ـ وثالثة الاعتزال لحكمة عقلائية ومصلحة دعت إلى ذلك كمن اعتزل الناس لغلبة الفساد فيهم أو اعتزل القوم من أجل الدراسة وطلب العلم فهذه العزلة بهذه الحكمة ليست مستنكرة البتة بل هي راجحة عقلاً وشرعاً كما عن الإمام علي (ع): (من اعتزل سلم ـ ومن خالط الناس نال مكرهم ـ في الإنفراد لعبادة الله كنوز الأرباح)[3].

ولكن معاشرة الناس تصنف إلى قسمين: معاشرة أهل الحق ومعاشرة أهل الباطل، أما معاشرة أهل الحق فلأجل التكامل في أداء الوظيفة الاجتماعية فيستفاد من أهل العلم والتقوى ويتماشى مع بقية أصناف الناس بحسب الموجبات والمرجحات الشرعية كالسعي في قضاء حوائج الناس وكمجالسة أهل العلم، عن ابن عباس قال: (قيل يارسول الله أي الجلساؤ خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزادكم في عملكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله)[4] وعن أبي عبدالله (ع) (قال النبي (ص) يلزم الحق لأمتي في أربع يحبون التائب ويرحمون الضعيف ويعينون المحسن ويستغفرون للمذنب)[5].

وأما معاشرة أهل الباطل فلأجل إصلاحهم مع إمكانية التأثير بهم وإلا يكون هجرانهم أولى من مجالستهم للخوف من ألاعيبهم وفتنهم وشيطنتهم.

ولذلك يوجد قسمان من الروايات قسم يحذر من مصاحبة الفجار

---

(١) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ١٧٧.
(٢) قصار الجمل ج ٢ ص ٣٦.
(٣) قصار الجمل ج ٢ ص ٣٦.
(٤) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ١٨٦.
(٥) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ٢٢٣.

حذراً من تأثيرهم وقسم يرغب بمجالستهم طلباً لاصلاحهم قال الإمام علي (ع): (مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار)[1].

وقال الإمام الصادق (ع): (لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره)[2]. وهذا لا ينافي اقتحام ساحة هؤلاء من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع إحراز الشروط التي منها إمكانية التأثير بهم، وعنوان المجالسة مع الخوف من شرهم غير عنوان المجالسة مع الأمن من شرهم، وامكانية التأثير بهم، وعنوان التأثر بهم غير عنوان التأثير بهم، قال الإمام الصادق (ع) (من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يردَّه عنه وهو يقدر عليه فقد خانه)[3]. والاستفادة من الرواية في موردنا بناءً على حمل كلمة «الأخ» على الأخ في الخلق.

وفي رواية فضيل بن يسار (قال قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عز وجل في كتابه **﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾** قال: مِنْ حرق أو غرق، قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: ذلك تأويلها الأعظم)[4].

ويتحصل لدينا مما تقدم أن الأصل هو توطيد العلاقات الاجتماعية والتفاعل المخلص لوجه الله تعالى بين أهل التوحيد، وأن الأصل هو الانفتاح على الآخرين ما لم يكن ضرر في البين، مع تجنب كل منفرٍ يحجب الأخ عن أخيه، ففي رواية عبد المؤمن الأنصاري قال: (دخلت على الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) وعنده محمد بن عبدالله الجعفري فتبسمت إليه فقال أتحبه قلت نعم وما أحببته إلا لكم قال (ع): هو أخوك والمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه، ملعون ملعون من

(١) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ٢٢٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ١٩٠.
(٤) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ٤٠٣.

اتهم أخاه، ملعون ملعون من غش أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من استأثر على أخيه، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه)[1].

وأهم أسباب حب العزلة:

١ ـ الخوف من الآخرين نتيجة انتشار الفساد.

٢ ـ الخجل كعقدة نفسية.

٣ ـ الطمع بحيث يتصور من معاشرته للناس مقاسمته فيما يملك.

٤ ـ الجهل فيرى أن الناس بنظره على باطل.

٥ ـ الغرور فيرى نفسه أفضل من الآخرين.

والعلاج:

١ ـ الثقافة الواعية والهادفة.

٢ ـ التربية الصالحة والتوجيه الصحيح، في العائلة والمدرسة والشارع.

٣ ـ الاختلاط مع الآخرين مع الاعتماد على قاعدة غضّ النظر عما لا يراه ملائماً.

٤ ـ الالتزام بالآداب الشرعية الإسلامية والتي منها ما لا يتحقق إلا بالجماعة والتي تربي الفرد على احترام الجماعة بل تؤسس فيه الفكر الجماعي كما هو المشهود في صلاة الجماعة والجمعة والدفاع عن الوطن وخدمة المستضعفين ومراسم الحج والعمرة والجهاد في الصفوف المتراصّة في سبيل الله تعالى.

---

(١) البحار كتاب العشرة ج ٧٤ ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

٤ ـ الأولوية للأسبقية

الأسبقية إلى طريق الهدى مدعاة للسرور في نفسها وهي راجحة ومطلوبة على قاعدة ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[١] ومن سبق إلى الهدى فهو السبّاق في التجارة مع الله والتي تصب في مصالح خلق الله، وتظهر قيمة الأسبقية في الزمن الأول للإسلام ويظهر كم للسبّاق من دور مهمّ في تثبيت دعائم هذا الدين الحنيف، وأن كل ثواب سيحدث يكون تواجدُهُ آنذاك هو أحدُ أسبابه بحيث يمكن أن يقال أنه لم يُبْنَ حجر على حجر في مسجد ولم ترتفع مأذنة بالتكبير إلا ببركة دم الشهداء والمواقف الحقة للمؤمنين في عهد الرسول (ص) أما مسألة ثبوت الثواب المتفرعة على الإيمان والعمل الخالص لوجهه الكريم فهي عندالله سبحانه المطلع على حقائق الأمور، ومن كتبت له الحياة بعد الرسول (ص) فثوابه مرهون بعدم ارتكاب ما يبطله[٢] ويرجِّح كفة الميزان للسيئات على الحسنات، كما هو الحال في قسم من الصحابة الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرّهم بالله الغرور، أمثال طلحة والزبير وغيرهم كما سيأتي. ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يعط القداسة للعناوين، بغض النظر عن الأعمال كعنوان «الصحابة» أو «القرابة بالرسول (ص)» أو «زوجات النبي (ص)»، وغير ذلك، بل كل إنسان

---

(١) المطففين آية ٢٦.

(٢) قال تعالى: ﴿ولا تبطلوا اعمالكم﴾ محمد آية ٣٣.

مهما كان ومهما بلغ فهو يُعرض عل المحكمة الإلهية ويُجازى بحسب ما قدّمت يداه.

قال تعالى: **﴿ذلك بما قدمت يداك وإن الله ليس بظلام للعبيد﴾** ١٨٢ آل عمران.

وهذا يتماشى مع عموم ما دلّ على عروض الفسق أو الكفر أو الإيمان في الدنيا، وعلى استحقاق العذاب أو السعادة في الآخرة بحسب الأعمال.

قال تعالى: **﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾** الأحقاف آية ١٩.

قال تعالى: **﴿فمن يعمل مثال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** الزلزلة ٧ ـ ٨.

نعم أهل بيت النبي وهم «القربى» المخصوصون علي (ع) وفاطمة (ع) وأولادهم الأحد عشر (ع) قد نزل بهم النص القرآني، من الله العزيز الجبار والأحاديث الصحيحة عن النبي، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، وما ذلك إلا للمؤهلات التي حملوها من الطهارة والنقاوة والبعد عن المعصية والذوبان في الله، وهي مؤهلات اختيارية ولأجلها تعرضت لهم النفحات الإلهية، وتجلى لهم اللطف الإلهي، فكرَّمهم واصطفاهم فأصبحوا أبواب علم الله والأدلاء على الله وخلفاءه في أرضه وقادة عباده كما شاءت الحكمة الإلهية، وتفصيل البحث في العقائد، نعم إن للأسبقية سلبياتها التي قد تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في فخّ الغرور وعندها يكون فريسة دسمة للشيطان وأعوانه فيوحي إليه: أنه ما دام هو السبّاق في المسارعة إلى الخير فهو قد أحرز الرضا الإلهي عاجلاً وأجلاً على نحو الحتم والجزم وكذلك لا بد أن يُحمد على كل حال لأن الفضل إليه يعود ومنه يسود، بل قد يزيد إبليس بغروره ويزيِّن له: أن الدِّين الذي من أجله ضحّى وجاهد وأعطى

يتمحور حوله وكأنه صار لرحا الدين قطباً، فإذا تُكُلم عن المسؤوليات فلا بد أن يعطى الحظ الأوفى، وإن حرم من ذلك بكى بكاء الثكلى على ما جرى، وحمل راية الثأر لإنقاذ الدين من الخطر. ظناً منه أن الأسبقية إلى الإسلام هي الكفيلة بإعطاء الوجاهة الدينية والمؤهلات للقيادة بصرف النظر عن المؤهلات الذاتية من التقوى والعلم بكتاب الله وشرائعه وبذلك وقع فريسة الغرور الأحمق وخسر الدنيا والآخرة.

وبذلك يمكن أن نحلِّل شخصية كلٍّ من طلحة والزبير ونفسِّر مواقفهما عندما قادا مع عاشئة فتنةً راح ضحيتها عشرات القتلى، وفي نفس الوقت كان لتحركهما الأثر السلبي على استقرار نظام الدولة الإسلامية، في عصر إمامهم المفترض الطاعة عليهم الإمام علي بن أبي طالب (ع)، فقال الإمام عنهما عندما كانا قتيلين يوم الجمل (لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهله فوقصوا دونه)[1].

وقوله (ع) في ردٍّ معاتبتهما له بعدم استشارتها (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فلما أفضتُ إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي (ص) فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما وإخواني من المسلمين)[2].

فإن هذه الوقائع عن حياتهما بلسان أصدق إنسان تكشف عن أن الذي دهاهما وأضلهما هوإبليس فزين لهما أن صحبتهما للرسول (ص) وكونهما من المهاجرين في بداية الدعوة كافيان لكي يكونا ممن يلوِّح

(١) نهج البلاغة خطبة ٢١٩.
أتلعوا: رفعوا.
وقصوا: كسرت أعناقهم دون الوصول إلى المراد.
(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٠٥.

باسمهما في كل أمر عظيم فتطاولا للقيادة معتدَّين بأنفهسما وأنهما أهل للمشورة والرأي.

وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عن شخصية الإمام علي (ع) عندما غُصبت الخلافةُ منه وهو الإمام الحق بتنصيب من رسول الله (ص) في غدير خم وهي حادثة عامة شهدها كل الحجاج وقد بايعوه على الولاية وكان من جملة مَنْ بايع أبو بكر وعمر، وحديث الغدير لا يمكن نكرانه أو تأويله بحال من الأحوال للصراحة فيه ولشيوعه الذي فاق حد التواتر، فتراه (ع) تارة يبيِّن حقه المخصوص من قبل الله بقوله (أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطَفِقتُ أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً أرى تراثي نهباً)[١].

وأخرى يبين أن طلبه للرياسة هو من أجل إقامة الحق وإلا فالرياسة في نفسها عنده شيء مرغوب عنه بقوله (أما والذي فلق الحبّة وبرأ النَسَمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت أخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عَنْز)[٢].

فهذه المطالبة لم تكن تشهياً ونتيجة غرور بل هي مطالبة بالحق كمطالبة الطبيب بأن يمارس مهنة الطب عند يُمنع منها وكمطالبة المزارع بحقه في ممارسة عمله الزراعي ليطعم عائلته ويسد الحاجة في السوق

(١) نهج البلاغة الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.
(٢) المصدر السابق.

وكمطالبة القاضي الجنائي بممارسة دوره الإنساني في ملاحقة الجرائم المتفشية وإن كانت مثل هذه المطالبة لا تخلو من توقفات عند أصحاب النوايا السيئة فيقال أن فلاناً طمع بالملك ولم يكن هذا يخفى على الأمير (ع) حيث قال (ع) (فإن أقل يقولوا حَرَص على المُلْك وإن أسكت يقولوا جَزَع من الموت)[1].

والعلاج: هو أن يعرف الإنسان حدَّه فيقف عنده وأن يعترف ضمناً أنه قد يوجد من هو أكفأ منه وليعرف أن النجاح أو السقوط بلحاظ ما يختم به العمل ولذا قيل: إنه عند الامتحان يكرم المرءُ أو يهان، والامتحان في آخر السنة يكشف من تعب في التحصيل ممن هو كسول وأن يعرف بالأخير أن المسألة خطيرة للغاية ولعله إذا أعطي مسؤولية لم يكن أهلاً لها سوف يحرف أمةً عن خطها الصحيح كما هو الملموس من تجارب المجتمع.

(١) نهج البلاغة الخطبة الخامسة شرح الشيخ محمد عبدو.

٥ ـ محاكمة الناس وتصنيفهم

الشايع بين الناس في خضم الصراعات الاجتماعية والسياسية تصنيف الناس بالقول: هذا معنا وذاك علينا، هذا معتدل وذاك متطرف، هذا منفتح وذاك منغلق، هذا بسيط لا يفهم وذاك متعلم فاهم، هذا لابأس به وذاك مراوغ خادع وهكذا. . .

وكل إنسان يصنِّف الناس بحسب مقاييسه وانتماءاته وبحسب الجهة التي يريد من أجلها التقسيم، وكما ترى تصنيف الناس أمر طبيعي لأنه لكل إنسان عمله وقناعاته فكما يقال هذا نجار وذاك حدّاد كذلك يقال قناعة هذا تختلف عن قناعة ذاك وإن هذا مؤمن متدين وذاك مسلم مستهتر، وهذا عليه ظواهر التديُّن وذاك متجاهر بالفسق، إلى غير ذلك.

إلا أن المسألة تأخذ جديتها وخطورتها عندما يتعدى التصنيف ظواهر الأمور إلى الحقائق الخفية خصوصاً إذا استلزم التصنيف المسّ بكرامة الإنسان ومعنوياته مما يحتاج إلى كثير من الدقة والعناية والتريّث، وتشتد المشكلة عندما يتعامل الناس مع هذه المسألة الدقيقة وكأنها مسألة بسيطة فعندما يقال: إن فلاناً فاسق أو منافق فكأنه يقال: فلان جندي وذاك فلاح، وهذا يؤدي إلى جرح كرامات الناس والتعدي على حرماتهم، ولعل كلمة صغيرة في عِرض وكرامة المؤمن تعادل رصاصة في رأسه لشدة وقعها في النفس، .

ويزيد الطين بلّة والمشكلة تعقيداً أن هذه التقييمات للآخرين تتم في جلسةٍ مسامرةٍ ولعلها تستغرق دقائق معدودات.

وليت المسألة تقف عند هذا الحد، بل تترقى إلى القول: «إن فلاناً الثقة نقل لنا» ولكن أي ثقة هذا؟! إنه الثقة الذي على حسب قناعتي والذي شكه برهان ووهمُه اطمئنان وفسقه عدالة، وهنا تقع الكارثة في إصابة قوم بجهالة يبقى أثرها على مدى الدهر لا يُمحى، وليس الغرض هو منع مثل هذه الأحكام بنحو كلي، بل لا بد من التريث والتوقف بحيطة وحذر في المقام لأنه كما نحتاج التقييم للناس في بعض الموارد، كذلك يكون التقييم والتصنيف للناس مضراً في موارد أخرى ومن هنا يُتطلب من كل واعٍ أن يتأمل طويلاً في مثل هذه المسألة ويقف عند هذه الأسئلة التالية: .

١ ـ من هو المؤهَّل لتصنيف الناس؟.

٢ ـ ما هي موازين ومقاييس التصنيف العادلة؟.

٣ ـ لو صنفنا الناس عندئذٍ يبقى السؤال: متى نرتب الأثر على مثل هذا التصنيف؟.

٤ ـ هل يكفي تصنيفي أم يحتاج إلى استشارة الآخرين كالأتقياء من الناس والعلماء؟

وعند سماع أي خبر ما، على السامع أن يجيب على هذه الأسئلة التالية.

١ ـ هل الخبر صادق أو كاذب؟

٢ ـ وما هي الأدلة المعتبرة المرجحة للصدق؟

٣ ـ وعلى فرض ثبوت الصدق والصحة للنقل نتساءل هل ما حدث عن شبهة أم لا؟

٤ ـ وعلى فرض عدم الشبهة في المقام نسأل هل تاب أم لا؟

٥ ـ وعلى فرض عدم التوبة نسأل هل هو قابل للتوبة فيما بعد أم لا؟.

٦ ـ وعلى فرض عدم قبوله للتوبه نسأل هل التعرض له فيه مصلحة أم لا؟.

٧ ـ ولو كان في ذكر ذلك مصلحة نسأل أمام من نذكر ذلك؟.

٨ ـ وبعد الذكر نسأل ما هي الإمكانات في عدم انتشار الخبر وشيوعه بين الناس ومتى تكون في ذلك مصلحة؟.

٩ ـ وعلى فرض انتشار الخبر مع عدم المصلحة ما هي الامكانات في لملمة الخبر وإطفائه؟.

في حين أنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أنه يوجد من الناس من همهُ الوقيعة في أعراض الناس بحيث يُتربص بالشخص الهفوة الواحدة حتى يعلن ذلك ويشهّر به بهدف إسقاطه اجتماعياً وما ذلك إلاّ نتيجة الحقد الدفين والحسد اللئيم المعشعش في النفوس المسمومة، وهذا القسم من الناس إن دخل على حالة تصنيف الناس فلسوف يجد الفرصة المؤاتية من أجل تفريغ سمومه وأحقاده، والتصنيف غير العادل للناس قد يدخل في إغلاظ القول على الطرف الآخر المصنَّف وهو خلاف القول بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه **﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾**[1].

قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية (ومن هنا يظهر أن المؤمنين قبل الهجرة ربما كانوا يحاورون المشركين فيغلظون لهم في

---

(١) الاسراء آية ٥٣.

القول ويخاشنونهم بالكلام وربما جبهوهم بأنهم أهل النار وأنهم معشر المؤمنين أهل الجنة ببركة من النبي (ص) فكان ذلك يهيج المشركين عليهم ويزيد في عداوتهم ويبعثهم إلى المبالغة في فتنتهم وتعذيبهم وإيذاء النبي (ص) والعناد مع الحق)[١].

وقال الشهيد الثاني (رض) في مورد «من تقبل روايته ومن ترد»: (نعم يجب على المتكلم في ذلك التثبت في نظره وجرحه لئلا يقدح في بريء غير مجروح بما ظنه جرحاً، فيجرح بريئاً بسمة سوء تبقى عليه الدهر عارها)[٢].

وقد يقال: ماذا يُصنع عند محاولة التدقيق بالأشخاص المستلْزِم ذلك للإطلاع على سلبياتهم؟ كما في انتخاب القياديتين والطعن على الشهود في المحكمة وفي تحديد الأعلم من الفقهاء والأساذتة والاطباء وفي إسناد الأخبار وعند نصح المسلمين وغير ذلك.

والجواب: إن الدخول في مثل هذه المقامات جائز إلا أنه يبقى في إطاره الشرعي والعقلائي من دون أي إفراط في البين ما دامت المصلحة أقوى من المفسدة، ويمكن الاستفادة من كلام الشيخ المدقق مرتضى الأنصاري في مقامنا عندما تعرض «لمستثنيات الغيبة»[٣] وقد اخترنا من هذه المستثنيات ما ينفعنا هنا كقواعد عامة تعم مورد الغيبة وغيرها:

١ ـ الاستفتاء: بأن يقول للمفتي ظلمني فلان في حقي فكيف طريق الخلاص، هذا إذا كان الاستفتاء موقوفاً على ذكر الظالم بالخصوص وإلا فلا يجوز.

٢ ـ قصد ردع المغتاب عن المنكر الذي يفعله فإنه أولى من ستر

---

(١) الميزان ج ١٢ ص ١١٨.

(٢) الدراية الباب الثاني ص ٦٢.

(٣) المكاسب الحجرية ص ٤٤ فما بعد.

المنكر عليه فهو في الحقيقة إحسان في حقه مضافاً إلى عموم أدلة النهي عن المنكر.

٣ ـ قصد حسم مادة فساد المغتاب عن الناس كالمبتدع الذي يخاف من اضلاله الناس، ويدل عليه مضافاً إلى أن مصلحة دفع فتنته عن الناس أولى من ستر المغتاب ما عن الكافي بسنده الصحيح عن أبيعبدالله (ع) قال: قال رسول الله (ص): (إذا رأيتم أهل الريّب والبدع من بعدي فاظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم الدرجات).

٤ ـ جرح الشهود فإن الإجماع دلّ على جوازه ولأن مصلحة عدم الحكم بشهادة الفساق أولى من الستر على الفاسق، ومثله... جرح الرواة فإن مفسدة العمل برواية الفاسق أعظم من مفسدة شهادته ويلحق بذلك الشهادة بالزنا وغيره لإقامة الحدود.

٥ ـ دفع الضرر عن المغتاب وعليه يحمل ما ورد في ذمّ زرارة من عدة أحاديث وقد بيّن ذلك الإمام (ع) بقوله في بعض ما أمر (ع) عبدالله بن زرارة بتبليغ أبيه: إقرء مني على والدك السلام فقل له إنما أعيبك دفاعاً مني عنك، فإن الناس يسارعون إلى كل من قرّبناه ومجدناه لإدخال الأذى فيمن نحبُّهُ ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوّه منا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كل من عيبناه نحن، وإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا (منا) بميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأمر (الأثر) لمودتك لنا وميلك إلينا فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون ذلك منا دافع شرّهم عنك... وإن وراءك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ويغصب أهلها فرحمة الله

عليك حياً ورحمة الله عليك ميتاً ـ الخبر ـ ويلحق بذلك الغيبة للتقية على نفس المتكلم أو ماله أو عرضه أو عن ثالث فإن الضرورات تبيع المحظورات. ومن هذا كله نعرف أن تصنيف الناس هو محاكمة لهم وهذا أمر حساس للغاية يحتاج إلى كثير من الدقة والعناية والحذر ومحفوف بالأخطار الناجمة التي لا تحمد عقباها فيكون في مقام التقييم من أجل المصلحة فيقع في المفسدة من حيث لا يشعر كما هو الحال في موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أخطأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلهما في غير محلهما احتاج هو إلى من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على عظمة المنهج الاجتماعي في الإسلام العزيز في مراعاته لحقوق الإنسان والحفاظ عليها.

ومن أسباب المحاكمة السلبية للآخرين هو النظرة الضيقة في التعامل كما سوف يأتي.

---

(١) كما في تحرير الوسيلة ـ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المسألة التاسعة.

٦ ـ النظرة الضيقة في التعامل

المراد من النظرة الضيقة في التعامل مع الآخرين هو أن محاكمة الآخرين غالباً ما تكون أسيرة المفاهيم القاصرة بحيث يحمِّل قناعاته هذه على الآخرين من دون أن يقبل أي تبرير عقلائي لتصرفاتهم أو فقل إن ذلك نتيجة الانطلاق إلى الناس بقالب الأنانية والذاتية فيحكم على الآخرين بأنهم منحرفون لأنهم لم ينسجموا مع قناعاته ولو كانت مثل هذه القناعات قابلة للتشكيك والردّ.

وهذه حالة مرضية لها سلبياتها ومشاكلها ومنها:

١ ـ إن هذه النظرة تسبب العزلة عن الناس، بحيث يعيش مثل هؤلاء المبتلون بذلك، الغربة عن المجتمع لاستيحاشهم منه، وهذا كما ترى محذور كبير على خلاف بنية الإنسان الاجتماعية.

٢ ـ إن هذه النظرة تورث الغرور في نفوس أولئك المبتلون لما يرونه، من أنهم على صواب وغيرهم على خطأ، وإن ما وصلوا إليه يعجز الآخرون عن إدراكه، وهذا قد يفتح المجالات للخصومة والعداوة وفقد الأصدقاء والإرباك في نجاح العمل الاجتماعي. في حين أن مثل هذا المغرور قد نسي نفسه، عندما كانت تتخبط بالضلال وعلى غير هدى، ومع هذا لا يأمل في الآخرين العودة إلى درب الرشاد كما جاء في تفسير هذه الآية: ﴿**ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً**

تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾[1].

فإنها نزلت لما رجع رسول الله (ص) من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، كان رجل يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلمّا أحسّ بخيل رسول الله (ص) جمع أهله وماله في ناحية الجبل وأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمرّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع إلى الرسول (ص) أخبره بذلك فقال له رسول الله (ص) : قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال له الرسول (ص): فلا كشفت الغطاء عن قلبه ولا ما قاله بلسانه قبلتّ ولا ما كان في نفسه علمت[2].

٣ ـ إن هذا المبتلى سوف لا يتفاعل مع المصالح العامة التي تتعارض مع مصالحه الشخصية، لأن هذا الإنسان تبانى على أن لا يفكر إلا في نفسه وما يدور في فلكها.

كالذي يمتنع من دفع ضريبة الخمس والزكاة للفقراء والمساكين لأنها خسارة عليه مع مالها من مصالح هامة في الضمان الاجتماعي.

وكتلك المرأة التي تتنكر لمشروع الزواج الثاني لما فيه الضرر على مصالحها وإن كان له النفع الكبير في حل المشاكل الاجتماعية العالقة.

وكذلك الذي يمتنع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن هذا سوف يعطل عليه الكثير من المصالح ويفسد عليه الكثير من الأصدقاء.

---

(١) النساء آية ٦٤.

(٢) تفسير القمي بنقل الميزان ج ٥ ص ٤٤.

مع أن الصلاح للمجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي الحديث عن أمير المؤمنين (ع): أما بعد فإنه هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً[1].

(١) الوسائل ج ١١ ص ٣٩٥ ـ كتاب الأمر بالمعروف الباب الأول.

٧ - الانفعال عند الإشكالات المضادة

المؤمن المعتقد الذي تبنّى عقيدته بكامل اختياره وحريته وسار في طريقه على المحجة[١] البيضاء الواضحة المعالم كما قال أميرالمؤمنين (ع): (عليكم بالمحجة البيضاء فاسلكوها وإلا استبدل الله بكم غيركم)[٢] وفي خضم معترك هذه الحياة الإنسانية لا غنى له عن الناس (فإن الناس لا يستغنون عن الناس)[٣] في حين أنه لا يمكن إرضاء كل الناس لاختلاف الميول وتفاوت الإدراك، كما في الحديث: (شكى علقمة إلى الإمام الصادق (ع) من ألسنة الناس فقال: إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تَسْلَمُون مما لم يَسْلَمْ منه أنبياء الله ورسله وحجج الله عليهم السلام... ألم ينسبوا نبينا محمد صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون... وما قالوا في الأوصياء أكثر من ذلك... إن ألسنة التي يتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه)[٤].

ومن وصية أمير المؤمنين (ع) لابنه الحسن (ع): فما طِلابك لقوم إن كنت عالماً عابوك وإن كنت جاهلاً لم يرشدوك وإن طلبت العلم

(١) المحجة جادة الطريق ـ كما في المجمع ـ.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٦٨.
(٣) البحار ج ٧٥ ص ١٠٩.
(٤) ميزان الحكمة ج ٤ ص ١٥٤ مادة «رضا».

قالوا: متكلف متعمِّق وإن تركت طلب العلم قالوا: عاجز غبي وإ ن تحققَّتَ لعبادة ربك قالوا: متصنِّع مراء وإن لزمت الصمت قالوا: ألكن وإن نطقت قالوا: مهذار وإن أنفقت قالوا: مسرف وإن اقتصدت قالوا: بخيل وإن احتجت إلى ما في أيديهم صارموك وذمّوك وإن لم تعتدّ بهم كفرّوك فهذه صفة أهل زمانك..)[1].

فإذا كان الحال مع الناس كما قرأنا فمن الطبيعي أن ينتظر المُعْتَقِد الاشكالات المتعددة والمواقف التي لا تنسجم مع اعتقاده من دون أي اضطراب أو انفعال ومن الطبيعي أيضاً أن لا تُعطى الأذن الصاغية لكل إشكال لأن الكثير من الاشكالات جوابها بعدم اعطائها الأهمية وتجاوزها لأنها صادرة عن بسطاء جهّال على قاعدة **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾**[2].

وأما الإشكالات الموجهة التي تهدف إلى التشكيك بالمعتَقَد والتي تقف حجر عثرة بوجه إقامة العدل الإلهي الحق، الحريُّ بها أن تكون محطاً للدراسة والردّ بكل رويّة وهدوء أعصاب.

ومن أهم هذه الإشكالات:

١ ـ إشكال: إن الذي مع الحق دوماً مغلوب على أمره ولا يصل إلا نادراً إلى مراده وما ذلك إلاّ لاستغراب الحق عندالناس!.

٢ ـ إشكال: إن الذي مع الحق سوف يعاني الوحدة والوحشة والفقر والمحن والبلايا!.

٣ ـ وقد يتطور الإشكال إلى أنه لو كان هذا مع الحق لما أصابه كل هذا!.

والجواب بما يلي: أما مسألة الوحدة والوحشة: .

---

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ص ١٥٤ في مادة «رضا».
(٢) الفرقان آية ٦٣.

فإن الأُنْس بالشيء يلزمه عدم الاستيحاش بعدم مشاركة الغير بهذا الأنس، ومفارقة أهل الباطل للحق وأهله نتيجة طبيعية تظهر عند اتباع الحق بل ذلك من الأمور المتوقعة والمترقبّة لأنها معاشة في تجارب الإنسان الاجتماعية، والقناعة بشيء ما تبقى قناعة حتى لو خالفها كل الناس، كما لو أنكر الناس أجمعهم وجود الشمس في رابعة النهار فإن ذلك لا يضرُّ بهذه القناعة.

ولذلك أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله: (لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله)[1].

وقال (ع): (فارق من فارق الحق إلى غيره ودعه وما رضي لنفسه)[2].

في حين أن تاريخ رواد النهضة الاجتماعية من الأولياء والأنبياء حافل بمواجهة أهل الباطل بكل أنحاء التحدي للحق، فها هي قريش ترسل عتبة ونسيبه وأبا سفيان وأبا جهل وغيرهم إلى أبي طالب قائلين له: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا[3].

وقال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلاّ إفك افتراه واعانة عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وجوراً، وقالوا أساطير الأولين أكتبتها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، قل أنزله الذي يعلم السّرَّ في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾**[4].

والمواجهة هذه نتيجتها الطبيعية المقاطعة والمعادات التي قد تؤدي إلى الحروب.

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٩٩.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٦٨.
(٣) الصحيح من سيرة النبي (ص) ج ٢ ص ٢٨.
(٤) الفرقان آية ٣ ـ ٦.

وأما مسألة المغلوبية:

فإن للغلبة في مفهوم الدين معنى خاص يتلاءم مع الغرض الذي خلقت الدنيا له كسنن إليهة وذلك:

أن من سنن الله في خلقه هو التفاوت في الدرجات بين الناس فمنهم الصحيح ومنهم السقيم ومنهم الفقير ومنهم الغني ومنهم الحاكم ومنهم المحكوم وهكذا، بحيث يتلاءم مع الغرض الذي خلق له الإنسان وهو الابتلاء والامتحان بالتخفيف عنه تارة وبالتشديد عليه أخرى ليعلم المطيع من العاصي والمؤمن من الكافر، ويكون المدار لعمل المؤمن على اتباع الحق سواء في حالة الفقر أم حالة الغني أو في حالة الغلبة أم في حالة المغلوبية.

والهزيمة ليست دليلاً عل الباطل ولا النصر دليلاً على الحق إذْ قد يُهزم المحِق ولم ينل مقصده كما لم ينل مقصده الإمام علي عليه السلام في معركة صفين وكما هزم النبي (ص) في معركة أحد وكما هو الحال في كربلاء المأساة.

وإلى هذا أشار الأمير (ع) بقوله: «المغلوب بالحق غالب»[1]، فليست الغلبة دوماً بالسيف والتفوق القتالي بل قد تكون بتأييد الحق ونصرته وإلقاء الحجة على أتباع الباطل ولو سجلت مع ذلك الهزيمة العسكرية، لأن بقاء الحق هو الضمانة للانتصار ولو بعد حين، كما قال الأمير (ع): «منازع الحق مخصوم ومن عاند الحق كان الله خصمه ومن نصر الباطل ندم»[2].

وتأييد الحق الذي هو الإسلام ودين التوحيد يكون بإيضاح حججه وتبيين أحكامه والوقوف إلى جانبه، كخروج الحسين (ع) على يزيد

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٦٨.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٧٠ ـ ٧١.

الباطل من أجل طلب الإصلاح في أمة جده الرسول الأكرم (ص) علاوة على أن ذلك تكليف شرعي يقوم به المؤمن بشرع الله سواء انتصر أم انكسر وله أجره وثوابه على الله بحسب نيته واخلاصه ولعل منتصراً لا ثواب له على الله ولعل مهزوم هو في جنات النعيم ويشهد لما قلنا قوله تعالى ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين وإن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين**﴾[١].

وقد جاء في التفسير لهذه الآية:

إن الله سبحانه يحث المسلمين على النجدة وينهاهم عن الوهن والضعف عن مقاتلة العدو وعن الحزن بما يصيبهم في أموالهم وأبدانهم نتيجة الهزيمة التي منيوا بها يوم أُحُد، ويعدهم الغلبة والنصرة في العاقبة، وجعل الله من سنته تصريف الأيام مرة للمؤمنين ومرة عليهم بمعنى أن الله يخفف المحنة على المسلمين تارة وأخرى يشددها عليهم لا أنه سبحانه ينصر الكفار على المسلمين لأن النصرة فرع المحبة والله لا يحب الكافرين وإنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم إليها ولتقلَّ رغبته فيها أو حرصه عليها، وليدخل الناس في الإيمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة، فإنه لو كانت الدولة أبداً للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليُمْن والفأل، وليتميز الذين آمنوا عن غيرهم وليكرم الله بالشهادة الشهداء أو ليكون من الناس من يشهد على الناس بما يكون منهم من المعاصي[٢].

ومن هذا البيان يظهر الجواب على الاشكال الثالث لأن الكون مع الحق لا يضرّ فيه التعرض للابتلاء كسنّة إلهية تتناسب مع الغرض من خلق الإنسان المختار في أفعاله، ولا يعني أن من يختار الطريق الصحيح

---

(١) آل عمران آية ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) عن مجمع البيان بتصرف ج ١ ص ٥٠٨ ـ ٥١٠.

وهو الإسلام الحق، لا بد أن يعيش في رفاهية عيش ملؤها السعادة التي لا يشوبها كآبة على الاطلاق، فلا مرض ولا فقر ولا انكسار ولا وحشة ولا محن شديدة، نعم في الإسلام ضمانة بعدم الوقوع في المشاكل الاجتماعية التي تعود إلى القانون لأن الإسلام يتكفل بحلها إلا أن الاخفاق في الحلّ يعود إلى عدم تطبيق هذا القانون العادل السماوي، وعدم تطبيق الإسلام ضررة يرجع على الأمة التي لم تدرك حقيقته والتي تبقى متخبطة بمشاكلها ويبقى هو النظام الأصلح للحركة الاجتماعية ويبقى المؤمن به مع الحق لأنه مهتدٍ إلى أكمل نظرية توصل الإنسان إلى السعادتين في الدنيا والآخرة فإن توصل إلى تحقيق هذا الدين فنعمً هو وإلا بقي يجاهد ويكابد من أجل تحقيقه على طريق ذات الشوكة.

وبالنتيجة نقول:

إنه مادامت الإشكالات المضادة حالة منتظرة، فعلام يتأذى الإنسان العاقل المعتقد بالحق؟! وعلام ينفعل انفعالاً سلبياً فيغضب تارة أو يقاطع أخرى أو يتخذ جبهات المحاربة ثالثة مقابل أن سمع بعض الاشكالات التي لم يرتضها؟! بل موقف العاقل الواعي هو في مواجهة ذلك ببرودة أعصاب مع كامل اللياقات الأخلاقية، ولعل منتقداً ننتفع بانتقاده ولو كان نقده بنية سيئة، ولعلنا باستماعنا له نفتح الطريق إليه ونعرِّفه جوهر الحق والدين، ولا أقل من أننا بالانفتاح على أهل الاشكال والاستماع لهم لا نحولهم - جلهم أو بعضهم - إلى صفوف الأعداء والحاقدين، لأنه من حمل الاشكالات المضادة لا يصنف في الأعداء إلا أنه عند ردات الفعل المتعاكسة أقرب ما يكون للعدوان هو صاحب مثل هذه الاشكالات.

٨ ـ الكذب على النفس والتماس الأعذار

العذر تارة يراد به معناه الخُلُقي فهو كمال في الإنسان فإذا أخطأ التمس العذر ممن أخطأ بحقهم، وكأنه أوقف نفسه موقف المستسلم لهم طالباً منهم التجاوز عما حصل ونسيان ما حدث متأملاً منهم الموقف الخلقي المناسب لما وقع، وإن أخطأ بحقه الآخرون فجاؤه معتذرين عذرهم، وإن لم يجدلهم عذراً إلتمسه لهم، وهذا السلوك من أعلى المواقف التي بإمكانها زحرحة كثيرٍ من المشاكل التي تواجه الأفراد في حركتنا الاجتماعية وقد جاء مدح ذلك في الروايات:

ما ورد في نهج البلاغة[1]:

ـ من اعتذر فقد استقال.

ـ أحق الناس بالإسعاف طالب العفو.

ـ المعذرة برهان العقل.

ـ كن بطيء الغضب سريع الفيء محباً لقبول العذر.

ـ شر الناس من لا يقيل العذر ولا يقبل الذنب.

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٤٤٧ ـ مكتب الإعلام الإسلامي.

- العفو تاج المكارم[1].

- لا تعاجل الذنب بالعقوبة واترك بينهما للعفو موضعاً تحرز به الأجر والمثوبة[2].

وقد ورد في الحديث:

- إقبل عذر أخيك وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً[3].

وأخرى يراد بالعذر التماس المهرب من المسؤولية وهذا من الأمراض الخبيثة في حياة العقلاء والحكماء لمنافاته مع ما التزم به واعتقد، فمن اعتقد بالشريعة المقدسة واستدعت منه موقفاً جهادياً مثلاً فطبيعي أن يلبي النداء ويستجيب للدعوة من دون أي تردد أو توقف في البين لأن التردد والتماس العذر من غير عذر يستلزم عدم تكامل العقيدة عنده والتشكيك بالأهداف السامية التي آمن بها ومن المعلوم أن الإلتزام العقائدي معناه وضوح الفكرة جيداً والقناعة بها من غير شك والالتزام بما تستلزمه هذه العقيدة من مواقف وسلوك بجدية تامة كما هو مدلول الآية المباركة: ﴿**خذوا ما آتيانكم بقوة**﴾[4] وقد ذم الشارع الأقدس هذا المعنى الثاني لالتماس العذر: ففي قوله تعالى: ﴿**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفهسم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾[5].

وفي قوله تعالى ﴿**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا**

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ الاعلام الإسلامي.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ الاعلام الإسلامي.
(٣) ميزان الحكمة ج ٦ ص ١١ مادة الاعتذار.
(٤) البقرة آية ٩٣.
(٥) التوبة آية ٨١.

يعلمون﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**وجاء المعذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم**﴾[2].

وقد جاء في تفسيرها: أن المعذرون الذي يزعمو أن لهم عذر ولا عذر لهم.

ومن الواضح أن هذه الآيات البينات جعلت السبيل على من ادعى العذر في غير محله واعتبرتهم ممن طبع على قلبه فهو لا يعلم وممن كره الجهاد في سبيل الله فنسي حظه من الآخرة ولم يخفْ عذاب الله سبحانه.

ومن هنا نفهم البعد العقائدي لبعض الأعذار وإنها تنم عن قلة تدين والتزام، كالعذر عند المخالفة الشرعية بقولهم: إن الله غني عن عذابنا وإنه غفور رحيم.

وعذر الأهل عن عدم حجاب ابنتهم في سن التاسعة بقولهم إنها صغيرة وكذلك في صومها وصلاتها.

والعذر عن عدم دفع خمس المال بقوله: المال مالي وتعبي بالحلال والفقراء يغنيهم الله.

والعذر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى أن ذلك يسبب كثرة الأعداء وقلة الأصحاب.

وان يعتذر عن الجهاد في الشتاء بدعوى البرد وفي الصيف بدعوى الحر.

وان يعتذر عن سوء خُلُقه بدعوى أن ذلك بسب التربية غير الصالحة.

---

(١) التوبة آية ٩٣.

(٢) التوبة آية ٩٠.

وان يعتذر عن الصوم بدعوى المرض وعدم الحجاب بدعوى وجود الحساسية وعن عدم الطهارة بدعوى أن ذلك وسوسة وقد يعتذر عن عدم الالتزام بقوانين الشرع مطلقاً بدعوى أنها معقدة أو غير متحضرة وهكذا.

ويمكن القول إنه لو سمح لمثل هذه الأعذار أن تأخذ مأخذها في النفوس لضاع الدين وأهملت القوانين.

والعلاج بما يلي:

١ ـ إعادة النظر في نفس العقدية من جديد حتى يعيد قناعته بها بنحو أشد من الجدية وتحمل المسؤولية.

٢ ـ الجلوس مع نفسه كثيراً لإعادة دور العقل إلى وضعه الطبيعي فإن العاطفة إن اشتغلت وطغت قللت من دور العقل وفعاليته.

٣ ـ دراسة العوامل التي سمحت للنفس بأن تميل هذا الميل العاطفي الكبير فإن كان الخوف هو المانع من الجهاد فيتداوى الخوف بما يناسبه وإن كان الطمع وحب المال مانعاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيداوى ذلك بحسبه.

وإن كان الجبن وحب البقاء مانعاً من بعض الأمور فيداوى بما يناسب ذلك من العلاجات كالتدرب على الشجاعة والاكثار من ذكر الموت وهكذا.

٩ ـ الاهتمام بالعنوان دون المحتوى

بما أن الدين الحنيف هو البديل الاجتماعي والسياسي والقانوني لحركة المجتمع فمن الطبيعي أن يضفي الإصطلاحات المنسجمة مع أطروحته على كل حالة لها دخالة ومساس بالغرض المنشود لديه، كاطلاق كلمة «الإسلام» على الدين «والمستضعفون» على المسحوقين «وأهل التوحيد» على من تشهد بالشهادتين «والجهاد في سبيل الله» على حرب أعداء الدين «والأمر بالمعروف» على إصلاح الأمة «والمشركون والكافرون» على أعداء الله سبحانه وهكذا، ولا يصح من العاقل أن يتحول العنوان عنده إلى هدف دون المحتوى، فيكون الهمُّ فقط، كيف يُكتب وأين يلعَّق ومن يتكلم به وأي مجلة تحمله؟ من دون أي نظرة وعناية إلى جوهر العقيدة والشريعة! كمن يرى الدين أنه مشاركة بالمال في بناء مسجد أو تعليق القرآن على جدار البيت للبركة وأن اسمه محمد، في حين أنه لا يعتب عليه محرّم من المحرمات، نعم الحفاظ على الاسم بعرض الحفاظ على المسمى هو المطلوب، ويصب في الهدف الواعي، بحيث ينصبّ الجهد على بناء المساجد وعلى بناء المصلين فيها وعلى طباعة القرآن والعمل على الإكثار من قرّائه وأُسمِّي ابني محمداً (ص) وعلياً (ع) وأربيهما على السير على خطاهما (ع) وأقول أنا مسلم مؤمن وفي نفس الوقت أعمالي منسجمة مع هذا الدين الحنيف ويكون هميِّ أن أفتش عن المؤمن النقي لأصاحبه لا من كان

اسمه حسين وهو فاجر فاسق، ويتفرع على ذلك أن لا ينغرَّ الإنسان بمن تزيَّ بزي علماء الدين، والدين منه بريء، الذي يرى أن الإسلام متجسداً فيه ويتمحور حول شخصه وأن الانتماء إلى ذاك الرجل هوالانتماء إلى الإسلام وأن ما يقوم به هو المطابق للحكم الشرعي وهو الصواب من دون مراعاة لموازين الإسلام في اتباع الرجال والأشخاص والرايات، مع أن الصحيح هو معرفة الرجال بالدين لا معرفة الدين بالرجال، فيعرف الرجل التقي والمؤمن الورع بالقرآن وأقوال الأئمة الأطهار (ع) فنقيس الرجال على موازين الحق الواردة في الشرع الأقدس لنعرفها كما عرفنا أمير المؤمنين من الكتاب وأحاديث الرسول (ص) ولذلك اتخذناه إماماً وقائداً فعرفناه من آية المباهلة وآية ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن حديث الثقلين ومن حديث غدير خم إلى غير ذلك[1]، وقال أمير المؤمنين علي (ع): (إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق فاعرف الحق تعرف أهله)[2].

ونكون بذلك قد حافظنا على المحتوى ولم نضيِّع الجوهر بالقشور ونكون من أهل القول السديد كما قال الله سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾**[3]، ومن الذين آمنوا بمعتقدهم ودينهم ولم يقعوا فريسة العاطفة في الموقف بل بقيوا العقلاء كما ابتدأوا رحلة الدين بارشاد العقل كذلك يطرحون العقيدة بكل تعقل ورشد ووعي. ولم نكن كما قال الإمام علي (ع) في قومه: (ما تتعقلون من الإسلام إلا باسمه ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه)[4].

والنتيجة: أن المطلوب هو العنوان والمحتوى معاً وتتم الفائدة

---

(١) كما هو الموجود في كتب العقائد.
(٢) تسلية الفؤاد بنقل المفيد ص ٦٣ وكتاب الأمالي ص ٥ إملاء ٣.
(٣) الأحزاب آية ٧٠.
(٤) الخطبة القاصعة في نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ٢ ص ١٥٥.

بهما وأما لو تحقق العنوان فقط فيما يراد منه المحتوى، أشبه بمن تدفَّأ في البرد القارس على صورة النار المرسومة في الورقة، فلا تسمن ولا تغني من جوع، وإن كان هناك فوائد ما من العنوان الى انها فائدة قليلة خير من العدم المطلق، ولكن سلبيات الخلو من المحتوى من ناحية العقيدة أشد خطراً عليها من الحالة التي لا تحمل العنوان أصلاً، ومسلم لا يعمل بالأسلام ضرره على الدين أكثر ممن ليس بمسلم لأن الأول عدو داخلي والثاني عدو خارجي وخراب الأول اسرع من الثاني وكأن المسلم الذي لا يعمل بإسلامه يعكس الوجه المشوش للإسلام وكأنه يوشك أن يقول: إن الاسلام بلا محتوى وأي تشويه لوجه الاسلام أخطر من ذلك؟ ومن هنا شددت العقوبة على المخالف المسلم، لمخالفته عن علم دون من ليس بمسلم فأن مخالفته لربما تكون لشبهة في البين.

نعم من وجهٍ اخر إن الإهتداء إلى الاسلام ولو ظاهراً هو أفضل ممن لم يهتدِ بعدُ وهذه الافضلية بلحاظ سُلَّم الهداية ودرجاتها وكان كلامنا عمن وقف في مرحلة الاسلام الظاهرية ولم يتعداها إلى مراتبتها الراقية والمعنوية فإنه من هذه الناحية سوف يكون خطره على الاسلام أشد ممن ليس بمسلم كما تقدم.

١٠ - الطاعة لأولياء الأمر

الطاعة هي الإنقياد كما في كتب اللغة والأصل بحكم العقل هو لزوم إطاعة المولى الحقيقي الذي هو من وراء كل نعمة يتقلب بها الإنسان وحقيق أن يُشكر صاحبُ النعمة والله سبحانه لايشكر إلا بطاعته والاعتراف بربوبيته.

والأصل أيضاً بين العباد عدم لزوم طاعة عبدٍ على عبد آخر مثله، كما قال أمير المؤمنين (ع): (الناس كلهم أحرار إلا من أقرّ على نفسه بالعبودية)[١]، وقال (ع): (لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله سبحانه حراً)[٢].

نعم لو قام الدليل الخاص المعتبر على لزوم طاعة بعض الناس كطاعة الابن لأبيه والمتعلم لمؤدبه وطاعة الناس كل الناس للأنبياء (ع) وأوصيائهم كالنبي محمد والأئمة الاثني عشر عليهم الصلاة والسلام فهو خروج عن الأصل للأدلة الخاصة الملزمة بالعمل بها، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: **﴿إنما وليكن الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[٣] والتي نزلت بحق علي (ع) وقرنت ولايته بولاية الله ورسوله كما هو الموجود في التفاسير وكتب العقائد وتفصيل الكلام يترك إلى تلك الأبحاث، والذي يهمنا في هذا الكتاب هو التعرض لقيمة الطاعة لأولياء الأمر - سواء النبي (ص) أو

---

(١) الشؤون الاقتصادية ص ١٩١.
(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٣٣٥.
(٣) المائدة آية ٥٥.

الأئمة (ع) أو الفقهاء العدول الجامعون لشرائط الفتوى ـ في الحركة الاجتماعية الهادفة.

إذْ الذي يفهم من وجوب الطاعة هو تثبيت قواعد النظام للمجتمع الإنساني لأن الإنسان ـ علاوة عن بقية الأنواع الحيوانية ـ يميل بفطرته إلى النظام والجهة الحاكمة والقائدة، لأجل حل المشاكل الحادثة والمنازعات المترقبة، لتحسم بالأخير مادة الفساد في المجتمع حفاظاً على النوع البشري والمصالح العامة والخاصة وهذا لا يتم كما هو الواضح بدون القيادة والرياسة والولاية وهذه قوامها بالطاعة والانقياد ولا يتصور معنى للقيادة من غير السمع والطاعة كما إنه لا معنى يحقق الهدف المنشود للطاعة إن أعطيت للقيادة غير المؤهلة، وتاريخ الحركة الاجتماعية لنعم الشاهد على ذلك، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: **﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[١].

وقد جاء في تفسيرها في كتاب الميزان[٢] (وإن كانوا سلّموا حكم الرسول ولم تتحرج قلوبهم منه كانوا مسلمين لحكم الله قطعاً سواء في حكمه التشريعي والتكويني، وهذا موقف من مواقف الإيمان يتلبس فيه المؤمن بعدة من صفات الفضيلة أوضحها التسليم لأمر الله ويسقط فيه التحرج والاعتراض والرد من لسان المؤمن وقلبه وقد أطلق في الآية التسليم إطلاقاً).

وقال في المقام الإمام علي (ع) (وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم)[٣].

---

(١) النساء آية ٦٥.
(٢) الميزان ج ٤ ص ٤٠٥.
(٣) نهج البلاغة خطبة ٣٤ في استنفار الناس إلى أهل الشام كما في الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٤٣٨.

وقال (ع) (فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا بالاستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عَزَّ الحقّ بينهم)[1] وقوله (ع) أيضاً (الإمامة نظاماً للأمة والطاعة تعظيماً للإمامة)[2] وبذلك تندفع شبهة القائل: بأن الإسلام لو كان على الحق لأنتصر وأخذ دوره الطبيعي في حركة المجتمع، وكذا شبهة من يقول: لو كان علياً محقاً لا يمكن أن تقف بوجهه فتن ذاك الزمان والتي أشهرها فتنة عائشة ومعاوية والخوارج. لأنه أجريت المسببات بحسب أسبابها وهو القانون الحاكم في عالم التكوين والطبيعة، كما هو الحاكم في عالم الحركات الاجتماعية، فإن النظام الحق والقائد المحق شيء وتطبيق النظام الحق بإدارة القائد المحق شيء آخر لأن تطبيق النظام الصالح بيد القائد الصالح له أسبابه الموضوعية التي منها تأهل المجتمع وقابليته لهذا النظام ولهذا القائد، والإسلام كما هو واضح هو النظام الأصلح ولا يكون هو النظام المحرك لمسيرة الإنسان الاجتماعية إلاّ بعد التفاعل معه والتأثر به والسير على هُداهُ وعندها يقف القائد الأصلح في موقعه الطبيعي في ادارة الأمور كلها بالعدل كما قال سبحانه: **﴿إن الله لا يغيرٌ ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[3] كما قال الإمام علي (ع) (فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبْت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جِرانَه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا أخضر للإيمان عود)[4].

فصلاح القائد والنظام لا يضرّ به عدم صلاحية الناس لمثل هذا

---

(١) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص ٤٤٤ خطبة ٢١٦.
(٢) الكلمات القصار رقم ٢٥٢ من نهج البلاغة.
(٣) الرعد آية ١١.
(٤) نهج البلاغة شرح محمد عبدُه ج ١ ص ١٠٥.

النظام وهذا القائد، نعم صلاحية الناس وتأهلهم شرط في تحقق النظام وفعليته كما هي شرط في فعلية القائد وتحقق آمريته خارجاً، والإمام إمام ولو جلس في بيته والإسلام هو دين الفطرة ولو لم يعمل به أحد كما أن الشمس هي الشمس ولو غيبتها الغيوم أو لم يَرَها العميان.

وهذا لا يعني أن القائد تُعطل صلاحيته كلها مع عدم صلاحية المجتمع، بل يبقى في ضمن وظيفته الميسورة وأن الميسور لا يسقط بالمعسور كما كان في زمن خلافة إمامنا الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه مع كثرة الفتن والمحن والبلايا وكذلك في زمن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وإذا تبيِّن لنا أن الطاعة والانقياد حالة جوهرية في حركة المجتمع وعصب الحياة في رشده، لا يقال إن الطاعة وتسليم الأمر للقائد يستلزم تعطيل العقول الواعية وعلى خلاف أدلة النصح الشاملة بإطلاقها لولاة المسلمين!.

الجواب: إن الطاعة فرع إثبات حق الطاعة للمطاع وهذا لا يثبت إلا بالعقل وبعد أن يدرك العقل أن هذا الإنسان فيه المؤهلات الكاملة لولاية الأمر يدرك أنه لا بد من طاعته والتسليم له بقيادة الأمة وأين هذا من تعطيل العقول؟ في حين أن أدلة النصح لولاة الأمر لا تنافي الطاعة وتسليم الأمر، لأنه يمكن أن يطيع الأمر وفي نفس الوقت يوصل نُصْحهُ بأي وسيلة كانت وبذلك يقع الجمع بين أدلة الطاعة وبين أدلة النصح والإرشاد إلى المصلحة، حتى لا يقع الهرج والمرج والاضطراب في تطبيق النظام.

في حين أن حالة العشق للقائد وللنظام من الأمور السائدة عند العرف والعقلاء في كل مراحل التاريخ ويكون دورها فعال بعد أن يكون لها مع التعقل نصيب وعندها تصبح العاطفة والعشق والتفاني راجحةً ومرغوب بها، فكم هو ذميم تفاني الإنسان بالقائد المجرم وكم هو

محبوب التفاني والعشق للقائد العدل كما قال المقداد لرسول الله (ص) في معركة بدر[1]: (يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر الصلب) وشوك الهراس لخضناه معك ولا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكنا نقول اذهب وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. . .).

وكذلك قول سعد بن معاذ[2]: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت. . . إلى أن قال: والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله) فاتحد العشق مع التعقل والعاطفة مع الادراك والذوبان العاطفي مع سلامة الاختيار وعندها كان الانتصار والتوفيق، ومآثر كربلاء[3] مملوءة بمثل هذه النماذج التي تعقلت الحقيقة فانبعث إثر ذلك الشوق المتفاني والعشق الهائم بتلك الحقيقة، فالعشق هو الذي أوقف سعيد بن عبدالله الحنفي ليتقي السهام بجسده عن الإمام الحسين (ع) عند صلاته.

وهي التي دفعت زهير بن القين ليقول للحسين (ع): (ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدون لآثرناالنهوض معك على الإقامة فيها).

ومثله برير بن خضير بقوله (والله يا ابن رسول الله لقد مَنَّ الله بك علينا إننا نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة) والحركة الاجتماعية كما تحتاج إلى التعقل إلا أن التفاعل مع النظام الأصلح والقائد الأفضل يحتاج إلى العشق والحب والذوبان

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مثير الأحزان.

العاطفي ولعل هذا هو البعد للحديث الشريف (وهل الدين إلا الحب)[1].

بل يمكن أن يقال إن العشق للنظام والقائد الصالحين هو الذي يحقق الأمينة المنشودة في ذوبان الأمّة في القائد وذوبان القائد في الأمّة ويكون بذلك سر النجاح للحركة الاجتماعية الهادفة في كدحها في الدينا إلى الله سبحانه.

قد يقال: لو قطع الفرد من الأمة بخطأ الحاكم العادل في زمن الغيبة الكبرى فما هو الحل عندئذٍ؟.

الجواب: لا شك أن القطع بخطأ الحاكم العادل لا يتصور في حق الإمام المعصوم وهو الحاكم الفعلي لفرض أنه معصوم عن الخطأ والعقيدة بعصمته تحول دون تكوّن مثل هذا القطع.

أما في زمن الغَيْبَة وفي حق الحاكم العادل غير المعصوم فالقطع بخطئه في الحكم لا يتأتى إلاٰ لمن اطلع على الأدلة وتفصيلات المسألة وهو المجتهد الآخر وعندئذٍ فإن كان الخلاف في استنباط الحكم من المدارك المقرّرة ولم يشذَّ أحدهما عنها فلا يصح لأحدهما نقض حكم الآخر ما دام على طبق القواعد نعم له أنْ يناقش ويبين لا أن ينقض ويبطل. وأما لو كان القطع بخطأ الحاكم في تشخيص الموضوع وهذا على نحوين[2]:

تارة يكون حكم الحاكم على موضوع قطع به بنحو يكون حكمه طريقياً وكاشفاً عن حكم الله الواقعي كحكمه بخروج الهلال نتيجة البينة التي قامت لديه فحكمه كاشف عن جواز الأفطار في أول شوال وعندئذٍ من قطع ببقاء شهر رمضان فقطعه حجة ويجب عليه الصوم وليس بملزم

---

(١) قصار الجمل ج ١ ص ١٢٩.
(٢) عن بعض أساتذتنا.

بطاعة الحاكم هنا.

وأخرى يكون حكمه موضوعياً بمعنى أن الشارع خوّل له الحكم وحكمه هو الحكم الشرعي كما في تحريم التنباك بعنوان ثانوي لأجل مقاطعة الدولة الظالمة فهنا حكم الحاكم نافذ حتى على من قطع بخلاف حكمه لأن حكم الحاكم متقوم بتشخيص نفس الحاكم للمصلحة والمفسدة، لا ما يدركه غيره ويشخصه، وعندئذٍ لا يكون قطع القاطع بخلاف حكم الحاكم حجة.

١١ ـ طلب الرياسة

على الرغم من حاجة الناس إلى القائد كميل فطري وعرفي فإن طلب القيادة من العقبات الكؤد التي يقف الكل عندها، ومن الأمور الصعبة ذات المنحدرات الخطيرة وهي بعيدة المسافة ببعد التجربة الاجتماعية وقد بدأت مشوبة بالدم من لدن قابيل القاتل أخاه طمعاً بمنصب الخلافة وهكذا إلى زمن آخر رسالات السماء، وقد عاني الحبيب المصطفى (ص) كما عاني غيره من الأنبياء والأوصياء من طغيان أكابر القوم، وما إن قضى أجله حتى انقضّ على الخلافة قوم طمعاً بها بعد أنّ بايعوا من قبلُ الإمام علي (ع) في حادثة غدير خم التي هي من المسلمات التاريخية ولا يجادل بها إلاّ مكابر والإمام علي (ع) يصف تلك الحقبة من الزمان بقوله[1]:

(فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يوم الناس هذا) وقوله[2] (ع): (أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا

(١) نهج البلاغة ـ خطبة ٦.
(٢) نهج البلاغة خطبة ٦٢.

الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته ولا أنهم منحوُه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يباعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل).

وإذا كانت معركة الرياسة بهذه الشدة مع الأنبياء والأوصياء على الرغم من وضوح الأدلة وسطوع الحجة وإقامة البراهين الدامغة مع ما يرافق ذلك من المعاجز الخارقة لنظام وقانون الطبيعة فمن طريق أولى أن شراسة المعركة سوف تشتد في زمن غيبة إمام الزمان إلى أن يأذن الله له بالفرج والظهور لإقامة الحق والثأر له، ولا شك أن المرحلة هذه تحتاج إلى الحذر الشديد من مغابنات إبليس وأعداء الإنسانية ومن النفس الأمارة بالسوء وذلك مع الصبر والتوكل على الله سبحانه ووقفه الرجل المسؤول اليقظ ولو من موقف أو كلمة تشارك في إعطاء القيادة لرجل غشوم يتطاول إلى الرياسة وهو لا يعرف من الإسلام إلا رسمه تكون نتيجتها حرمان الأمّة من بركات الإسلام الحنيف ومن هذا القانون العادل للحركة الاجتماعية وعندها تكون النتائج وخيمة ومؤسفة وعندها تكون الكلمة للسفهاء والمذلّة للحكماء والأولياء ويُرى الناس بصورة أحرار وما هم إلا عبيدٌ أو أذلّ، الحقائق عندهم مقلوبة والأمور مزيفة والفطرة مطمورة والخُلُق معدوم كما في الخبر[1] عن الإمام أبي عبدالله (ع) عندما سئل: إلى متى هؤلاء يملكون أو متى الراحة منهم؟ بقوله: (ألا تعلم أن من انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الأذى و الخوف هو غداً في زمرتنا، فإذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله ورأيت الجور قد شمل البلاد... ورأيت أهل الباطل قد استعلوا على أهل

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٥ والحديث على الظاهر معتبر.

الحق ورأيت الشر ظاهراً لا ينهى عنه ويعذّر أصحابه ورأيت الفسق قد ظهر واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله ورأيت الفاسق يكذب ولا يُرّد عليه كذبه وفريته ورأيت الصغير يستحقر الكبير ورأيت الأرحام قد تقطعت... ورأيت الكافر فرحاً لما يرى في المؤمن مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد ورأيت الخمور تشرب علانية.. ورأيت الآمر بالمعروف ذليلاً ورأيت الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محموداً ورأيت أصحاب الآيات يحقّرون ويحتقر من يحبهم ورأيت سبيل الخير منقطعاً.. وكان صاحب المال أعزّ من المؤمن وكان الربا ظاهراً لا يعيّر وكان الزنا تمتدح به النساء... وعطّل الكتاب وأحكامه.. ورأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله عز وجل ورأيت الولاة يقرّبون أهل الفسق... يرتشون في الحكم... ورأيت الرجل يقتل على الظنّة... ورأيت الإيمان بالله عز وجل كثيرةُ على الزور ورأيت القمار قد ظهر... ورأيت الحدود قد عطلت وعمل فيها بالأهواء... ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله ورأيت السلطان يُذِل للكافر المؤمن... ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان ورأيت سفك الدماء يستخف بها... ورأيت قلوب الناس قد قست وجمدت أعينهم... ورأيت الناس مع من غلب... ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور... ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلاّ الأغنياء... ورأيت الآيات في السماء لا يفزع لها أحد... ورأيت السلطان يحتكر الطعام ورأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزور ويتقامر بها ويشرب بها الخمور... ورأيت رياح المنافقين وأهل النفاق دائمة ورياح أهل الحق لا تحرك... ورأيت الولاة يأتمنون الخونة للطمع... ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى ولا يعمل القائل بما أمر... ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه الله وتعطى لطلب الناس، ورأيت الناس همهم بطونهم وفروجهم لا يبالون بما أكلوا وبما نكحوا ورأيت الدنيا مقبلة عليهم ورأيت أعلام الحق قد

درست، فكن على حذر، واطلب من الله عز وجل النجاة، واعلم أن الناس في سخط الله عز وجل (وإن يمهلهم لأمر يراد بهم فكن مترقباً واجتهد ليراك الله عز وجل) في خلاف ما هم عليه فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم عجلت إل رحمة الله، (وإن أُخِّرْتَ ابتلوا وكنتَ قد خرجت مما هم فيه من الجرأة على الله عز وجل، واعلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين وأن رحمة الله قريب من المحسنين) فهذه الرواية تصف الانحطاط للحركة الاجتماعية بكل صورها، ومنها موت الإنسان كإنسان كل ذلك نتيجة الابتلاء بقيادات حكمت أهواءها في الناس وأخرجتهم عن الحق والصواب وأبعدتهم عن دين الله سبحانه وتعالى وبالنتيجة ينبغي الحفاظ بدقة على موضوعية القائد وهو الولي الفقيه ولا يؤثرٌ في انتخابه واختياره العوامل الخادعة من كثرة الأموال أو الأنصار أو أنه ابن فلان وبذلك يُتجنب ما وقع فيه بنو اسرائيل كما قاله سبحانه **﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال. . .﴾**[1].

مع الحفاظ على عنصر الطاعة كما تقدم في حين أنه يلزم على بقية الأمّة الإشتغال بوظائفهم المناسبة لكل واحد منهم مع صرف النظر عن التطاول إلى مركز الرياسة لأن ذلك بلاء عواقبه وخيمة وضرره بالغ على قاعدة «لا ينظرنّ أحد إلى من هو فوقه» لأنه يستلزم أن لا يرى ما بين يديه ويوشك أن يقع في حبال إبليس ويكون أسير الحقد والأنانية، يردد على الدوام كلمة: لماذا غيري ولم أكن أنا؟ مما هو مهلكة للنفس وللمجتمع وفي المقام قال الرسول (ص): (أول ما عُصي الله تبارك وتعالى بست خصال: حب الدنيا وحب الرياسة وحب الطعام وحب النساء وحب النوم وحب الراحة)[2].

---

(١) البقرة آية ٢٤٦.
(٢) الخصال ص ٣٣٠

وعن أبي ذر رحمة الله عليه قال: (أوصاني رسول الله بسبع: أوصاني أن أنظر إلى ما هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرّاً، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن استكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله (العلي العظيم) فإنها من كنوز الجنة)[1].

وبكلمةٍ: إذا ما اعتنت الأمة بموضوع القيادة بنحو هادف وبنَّاء ولم تعش لغط حب الرياسة والترؤس وكل إنسان وقف عند حدَّه وأعطي الحق لأهله واحترم أصحاب الكفاءات والتزم بطاعة أولياء الأمر فإن الأمة تكون بذلك سعيدة محافظة على غناها من ناحية صناعة القياديين بحيث لو افتقد الواحد يكون العشرات جاهزون لاستلام الوظيفة فلم تفتقر للقائد بل لا تضيِّع قيادييها، والفشل كل الفشل يحدق بالأمة التي لا تعرف كيف تصنع قيادييها ولا تعرف كيف تستفيد منهم فهم بين أظهرها ضائعون وذلك هو البلاء الأعظم والضياع المظلم.

تبقى إلتفاتة:

ولاية الفقيه في زمن الغيبة لها شروطها في الفقيه التي إن استجمعها يكون لائقاً لمنصب الولاية وببركة هذه الشروط يكون موضوعاً للزوم الطاعة وهذا يعني أن القانون هو الضابط والمقياس لاستحقاق القائد صفات القيادة فهو فوق القائد ومن هنا نعرف من هو الـذي يكون وجهاً للأمة وللقاعدة؟ فإن الذي يمثل وجه الأمة هو الذي انطبقت عليه شروط القانون لا مطلق من يدعي أنه وجه الأمة، وبتعبير آخر ليس كل من يطلق عليه أنه رجل دين هو وجه للأمة وقائد في المسيرة وليس كل من ادعى العلم الإلهي هو يمثل هذا الجانب الإلهي

---

(١) الخصال ص ٣٤٥.

وليس كل من وضع عمامة أصبح مؤهلاً ليقوم بوظيفة رسول الله ويحل محله، ومن هنا قسمت وظائف علماء الدين فمنهم المبلغ للأحكام فقط ومنهم المجتهد المستنبط ومنهم الولي الفقيه ومنهم المتخصص بالتاريخ مثلاً أو بالأخلاق أو بالفلسفة وهؤلاء كلهم منهم العادل ومنهم الفاسق الذي لا تقوى له بل يوجد من تتطفل على هذا المنصب وهو ليس أهل لذلك.(١)

ولا يفهم من كلامي هذا أنني أدعو إلى عدم توقير رجال الدين بل أدعو إلى احترام رجال الدين الحاملين بحق للرسالة بعد تمييزهم عن غيرهم ومسؤولية التمييز كما يقع على عاتق الأمة والقاعدة كذلك يقع على عاتق أولياء الأمر العدول ولكن كل ذلك بشرط الغيرة على المصلحة لا بغرض الانتقام والهتك على قاعدة كلمة حق يراد بها باطل.

الإنسان وأبوة محمد وآله:

للقائد مزاياهُ الخاصة التي تميزه عن غيره فتجعله محط أنظار الناس ومثالاً يقتدى به وطالما حدثنا التاريخ عن بعضهم سواء في قيادة الجيوش أم في قيادة الأمّة، وقد تعلقت بهم القلوب وعاشوا في خيال العقول وهواجس النفوس إلا أنهم أناس عاديون يمتلكون الصفات المحبَّبة كما يمتلكون بعض المزايا المنفرَّة الخفية أو الظاهرة قد انتخبهم الناس واختارتهم الأشخاص وفرق كبير بينهم وبين من اختارتهم العناية الإلهية لتهذبهم وتأدبهم، حيث بلغوا بالأوصاف أعلاها وبالأمثال أصوبها فهم في العلم أسياد وفي العدل روّاد وفي التواضع آيات وفي الشفقة والرحمة آباء وفي الكرم بحار، كيف لا؟ وهم خيرة رب العزّة، فخرجوا إلى الناس بالكمال والجمال يحكي أدبهم أدب الله إنه الله تبارك وتعالى الذي خلقهم واختارهم فأحسن اختيارهم، وفي الزيارة الجامعة

---

(١) وهذا مرتبط أيضاً ببحث الاهتمام بالعنوان دون المحتوى.

التي مضامينها دليل على صدورها: (من أراد الله بدأ بكم ومن وحَّده قَبِل عنكم ومن قصده توجّه بكم، مواليي لا أحصي ثناءكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه وبكم ينفّس الهَمْ ويكشف الضُرّ وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته..).

وفي الحديث عن رسول الله (ص) المسمى بحديث الثقلين: (كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنتب مولاه فهذا وليُّه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه)[1].

وقوله (ص): (أن مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتِ الباب)[2].

وهم المطهرون من كل دنس بصريح القرآن الكريم **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[3].

وعندما أراد الرسول (ص) مباهلة نصارى نجران نزلت هذه الآية **﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنتَ الله على الكاذبين﴾**[4].

والمراد من «أبناءنا» الحسن والحسين ومن «نساءنا» فاطمة الزهراء

---

(١) المراجعات ـ المراجعة ٤٨ ص ١٧١..

(٢) المراجعات ـ المراجعة ٤٨ ص ١٧١..

(٣) الأحزاب آية ٣٣.

(٤) آل عمران آية ٦١.

ومن «أنفسنا» علي ابين أبي طالب عليهم جميعاً سلام الله أبداً كما عليه المفسرون وعندما رأى رهبان النصارى أنوار هذه البيت النبوي كفّوا عن المباهلة وقالوا: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة فصالحهم رسول الله (ص) على الجزية وانصرفوا[1].

وبالجمع بين الآيات الثلاثة التالية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ و ﴿**ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾ و ﴿**ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إل ربه سبيلاً**﴾ يفهم أن القربى وهم أهل بيت النبيّ (ص) هم السبيل إلى الله والطريق إلى رضوانه[2].

وبما أن الولاية هي نعمة الله على المسلمين وبما أنه لا يفرَّق بين الأئمة الاثني عشر المعصومين لقاعدة «أولنا كأخرنا وآخرنا كأولنا» يفهم من هذه الآية الكريمة ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[3] التي نزلت بحق تولية علي (ع) إماماً للمسلمين في غدير خم، أنه بجعل وفرض الولاية والإمرة للإمام علي تمت نعمة الولاية وبها كملت أحكام الدين وبذلك ارتضى الله لنا الإسلام ديناً.

وقال[4] العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: (اليوم ـ وهو اليوم الذي يئس فيه الذين كفروا من دينكم ـ أكملت لكم مجموع المعارف الدينية التي أنزلتها إليكم بفرض الولاية وأتممت لكم نعمتي وهي الولاية التي هي ادارة أمور الدين وتدبيرها تدبيراً إلهياً فإنها كانت إلى اليوم ولاية الله ورسله وهي إنما تكفي ما دام الوحي ينزل ولا تكفي لما بعد ذلك من زمان انقطاع الوحي ولا رسول بين الناس يحمي دين

---

(١) راجع الميزان ج ٣ ص ٢٢٩.
(٢) قريب منه ورد في دعاء الندبة المشهور في أوله.
(٣) المائدة آية ٣.
(٤) الميزان ج ٥ ص ١٨١.

الله ويذب عنه، بل من الواجب أن ينصب من يقوم بذلك وهو ولي الأمر بعد رسول الله (ص) القيِّم على أمور الدين والأمَّة).

وهذا غيض من فيض مما ورد في حق هذا البيت الطاهر المطهَّر وإذا كان المؤمن[1] قادراً على الإتيان بقصر بلقيس قبلَ أن يرتد طرْفُ سليمان (ع) إليه فمن طريق أولى أن يكون لآل محمد الخصوصية الخاصة بإذن الله ومنها التسلط التكويني على العلل والمعلولات بإذن الله سبحانه ومنها كونهم جزء علة البقاء للنظام التكويني كما في الحديث (لو خليت لماجت بأهلها كما يموج البحر)[2] إذ المراد لو خليت الأرض من الحجة.

ومن كل ما تقدم يظهر جلياً البعد العقائدي لهذا البيت النبوي الكريم وإن التشريع الإسلامي بحاجة إلى وجودهم حتى يأخذ الإسلام دوره الطبيعي كنظام منقذ للإنسانية، فهم الحافظون لأحكام الدين والعالمون بأسرار القرآن وعندهم الصحيفة والجفر وإذا أرادوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله ذلك الشيء، بل ما وقع من مصائب للمسلمين والتي منها تفرقهم في مذاهب شتى لشاهد واضح على أهمية هذا البيت الكريم من الناحية التشريعية والعقائدية وأنّ الشقاء كل الشقاء كان بتركهم وبالتخلي عنهم ومن ترك السفينة في البحر المتلاطم سوف يغرق، بل يتجلى البعد العاطفي والاجتماعي للبيت النبوي الكريم لحاجة الحركة الاجتماعية إليهم في تكاملها وتناميها، وطبيعي جداً أن تتنامى الحركة الاجتماعية وتتكامل إذا تعرّفت على روادها وقادتها ورموزها وتفاعلت معهم، والارتباط بالكامل هو سبب للتكامل والضائع إن استعان بالمرشد اهتدى من ضلالته ومن كان في البحر الهائج لا ينجيه من الغرق إلا

---

(١) هو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم وكان وزيراً لسليمان (ع) راجع تفسير السيد عبدالله شبر لآية ٤٠ من سورة النمل آية ٤٠.

(٢) آداب عصر الغيبة ص ٢٤.

الصعود في السفينة والأعمى في الليلة الظلماء نجاته من الضلال باتكائه على البصير المدرك الذي بيده الحيلة لإنارة الطريق وكذلك نسبة الحركة الاجتماعية إلى أهل بيت النبوة (ص) ومن هنا نفهم العمق للآية الكريمة الآمرة بمودة وحب أهل البيت ذوي القربى (ع) بقوله تعالى **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** فاعتبرت الآية الكريمة أجر الرسالة وتبليغها هو بمودة القربى علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين (ع) إلا أنها مودة مطلقة وعشق بلا حدود ما دام في رضا الله سبحانه وكيف لا وعشقهم هو عشق الرسالة لاقترانهم بها وحبهم حب القرآن لعدم مفارقتهم له كما تقدم في حديث الثقلين والارتباط بهم ارتباط بالحق لدورانهم مع الحق دوماً ودوران الحق معهم كيفما داروا، ومحبتهم وعشقهم لا محالة يصب في محبة الله وعشقه لأنهم الذين استقروا في مرضاة الله وعبدوه في الليل والنهار وإذا اشتغلوا ببعض الحاجات كالأكل والشرب وغيرها عدوا ذلك ذنباً وتقصيراً[1] لانقطاعهم عن الذكر في تلك اللحظات وبذلك يفسَّر كثرة استغفارهم ووجلهم.

بل أن النبي (ص) والإمام علي (ع) والأئمة الأحد عشر من ولده يمثلوا الأبوة للعائلة الإنسانية الكبرى في كل حقبات زمانها ولا بد للعائلة من الأب الذي يمثل الجانب التقويمي والإرشادي ويمثل الجانب العاطفي بالركون إليه و الشكاية لديه والأنس به والانشداد نحوه وإلى هذا يصبوا ما ورد في الحديث: (أنا وعلي أبوا هذه الأمّة)[2].

وجاء أيضاً: (حق علي بن أبي طالب على هذه الأمة كحق الوالد على ولده)[3] وقد وردت تسمية الموالين لآل محمد «بأيتام آل محمد»

---

(١) مفتاح الفلاح ص ١١٨ في توضيح اذكار سجدة الشكر.
(٢) البحار ج ١٦ ص ٩٥ و ج ٤٠ ص ٤٥.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ج ٢ ص ٢٧٧.

كما في الحديث عن ذكر تلك الإمرأة التي سألت عن أحكام شرعية من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بقولها (ع): (لأني سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في ارشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور ثم ينادي مناد في المساء من ربنا عزّ وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم..)[1] بل ادخار الإمام صاحب العصر والزمان (عج) لانقاذ الإنسانية المستضعفة يشعر بهذا الجانب العاطفي وهو ادخار الأب لهذه الإنسانية إلى أن يأذن الله له بالخروج ليبقى هو الأمل في ذهن الأمة المحرِّك لها في مسيرة التغيير لتقف بقوة بوجه الظلمة وشذاذ الآفاق من أراذل بني آدم وليبقى هو الرمز والمنتظر لإقامة العدل فلا تشذ القاعدة في مسيرتها إلى الله عن غير هذا الطريق.

بل غربة الإمام المنتظر (عج) ومعاناة الأئمة الأطهار (ع) بشتى ألوان العذاب والآلام وعلى رأسهم الإمام الحسين (ع) في كربلاء من أجل الإنسانية المعذبة ومن أجل حياة عادلة وهادفة ومرضية لله سبحانه في أرضه حقيق بتجسيد العلاقة العاطفية العشقية بين القيادة والقاعدة والأمة والأئمة فإذا قدّم الإمام الحسين عليه السلام روحه رخيصة من أجل طلب الإصلاح في أمة محمد (ص) وقدم عياله سبايا وأهله ضحايا فلأنّه رمز الأبوة للإنسانية وطبيعي أن تبادله الأمة وكل الإنسانية المظلومة العشق والمحبة والذوبان به وبنهجه فتبكيه إن ذكرته وتقيم له الذكرى في المناسبات لكي يبقى الحي في وجدانها ويبقى يوم عاشوراء الرمز الخالد في ذهن الأمة وفي نفس الوقت خزّان الوقود الذي يزوِّد الحركة الجهادية على مرّ السنين إلى أن يقوم القائم من آل محمد عجّل

(١) أورده في منية المريد ص ٣٢.

الله له الفرج ورزقنا رضاه والسير على خطاه.

ويمكن القول: إن حب آل محمد وعشقهم هو الحاجة الملحّة في مسيرة الإنسانية من الناحية التشريعية للحاجة إلى القائد والمشرِّع ومن الناحية الاجتماعية والعاطفية للحاجة إلى رموز العطاء والأسوة بل للحاجة إلى فارس أحلام الإنسانية وقطب رحاها ومن هنا تتضح عدة نقاط: .

١ - إن الأئمة الإثني عشر إذا حظيوا بهذه الدرجات من الكمال فإنما ذلك كرامة من الله لهم لشدة ذوبانهم بالله سبحانه على قاعدة: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

٢ - إن تعظيم شعائرهم ومن جملتها ترميم قبورهم وزيارتها والتماس الخير من الله عندها وكذلك إحياء ذكرى عاشوراء والاحتفال بذكرى بيعة الغدير في ١٨ من ذي الحجة والاحتفال بمولد الإمام المنتظر في ١٥ شعبان كل ذلك ليقربنا إلى الله سبحانه زلفاً وليربطنا بقادتنا الذين فعلهم الخير ووصيتهم التقوى والذين هم الأدلاء على الله الحاملون الناس على المحجة البيضاء بل الخير كل الخير في مواصلتهم في حياتهم وبعد مماتهم، أو فقل: إن الارتباط بهم ارتباط بالإسلام وحبهم حب للرسول وللدين الحنيف وحبّ الله تبارك وتعالى وطاعتهم طاعة للرسول (ص) وطاعة لله تبارك وتعالى لأنّ ولايتهم من الله ولم يخرجوا من هذه الولاية طرفة عين أبداً وكل من والاهم فقد أدخلوه في ولاية الله عز وجلّ والمنصف يؤمن بهذه الحقيقة عندما يراجع أقوالهم ووصاياهم وتاريخهم، ويظهر هذا جلياً بمراجعة المستحباب الشرعية عند الزيارة فيستحب أن يقول الزائر عند الدخول للحرم: (بسم الله، الله أكبر كبيراً والحمد الله كثيراً وسبحانه الله بكرة وأصيلاً والحمد لله الفرد الصمد الماجد الأحد المتفضل المنان المتطوّل الحنّان الذي من تطوله سّهل لي زيارة ساداتي بإحسانه ولم يجعلني عن زيارتهم ممنوعاً، بل

تطول ومنح.

ثم يقول: السلام عليكم أئمة الهدى السلام عليكم أهل التقوى السلام عليكم أيها الحجج على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القوّام في البرية بالقسط السلام عليكم أهل النجوى، أشهد أنكم قد بلّغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِّبتم وأُسيء إليكم فغفرتم وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وأنكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهرّ وينقلكم من أرحام المطهرين لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم فتن الأهواء طبتم وطاب منبتكم، منّ بكم علينا ديّان الدين فجلعكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم رحمة لنا وكفارة لذنوبنا إذْ اختاركم لنا وطيّب خلقنا بكم وبما منّ به علينا من ولايتكم وكنا عنده مسلمين بفضلكم معترفين بتصديقنا إياكم، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان وأقرَّ بما جنى ورجا بمقامه الخلاص وأن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من الردى فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذْ رغب عنكم أهل الدينا واتخذوا آيات الله هُزُءاً واستبكروا عنها...)[1].

وبعد هذا فأي شرك يمكن أن يتصور بحق من عظّم آثار هذا البيت المحمدي الأصيل، وكيف يصدق من يقول أن زيارة قبور الأولياء لله هي شرك بالله سبحانه.

٣ ـ إن الاعتقاد بالأئمة الأطهار صلوات الله عليهم اعتقاد بمميزات يحملونها، لها طابعها الغيبي ككونهم مطلعين على حقائق الأمور ويعرفون ما سوف يحدث وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم تعرض عليهم أعمال الخلق وأنهم يحضرون عند وفاة كل إنسان وأن الكرامات

(١) مفتاح الجنات ج ٢ ص ٣٠.

تحدث على أيديهم وأن ارث النبوة عندهم وإذا أرادوا أن يعلموا علمهم الله وأنهم يشهدون المقام ويردون السلام ويسمعون الكلام كل ذلك ـ وغيره كثير ـ جانبه غيبي والإيمان به يستلزم الإيمان مسبقاً بالقدرة الغيبية لله تبارك وتعالى وما دام هو القادر المطلق الذي لا يعجزه شيء وما دام أهل البيت (ع) في غاية ما يتصور من العبادة والورع والتقوى فإذا مَنَّ الله عليهم من فيوض رحماته وألطافه وكراماته لا يكون مستغرباً ولا مستهجناً ولا مورداً للتساؤل والتعجب ما دام ما عندهم (ع) هو من الله عزّ وجلّ.

وإذا استطاع الإنسان ببعض الاكتشافات أن يصنع بعض الأجهزة التي بمقدورها الإحاطة بجوانب كثيرة من الكون كالرادار والأقمار الاصطناعية، فلما يُستهجن على الله أن يحيط عبادة المخلصين ببعض الأسرار التي تخوّلهم الإحاطة ببعض الأسرار الخفية من هذا الكون العجيب، والخبر الصادق وصلنا بذلك.

في حين أن هذه الامور الغيبية قد تكرر مثلها على أيدي الانبياء والاوصياء والمؤمنين الخلَّص كآصف بن برخيا الوزير للنبي سليمان وكان صدِّيقاً يعلم اسم الله الاعظم، وقد أحضر عرش بلقيس قبل تحريك الجفن للنظر، كما ورد في قوله تعالى[1]: (قال يا أيها الملأ أيكم يأتني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ـ قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ـ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرفك، فلما رءاه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) وقال الامام الخميني في المقام في رسالته لزوجة ابنه[2]: (لا تنكري مقامات العارفين والصالحين ولا

---

(١) النمل آية ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) بلسم الروح ص ٤٧.

تعتبري أنَّ معاندتهم من الواجبات الدينية، كثير مما قالوه موجود في القرآن الكريم وبشكل رمزي ومغلق.. وقد ورد في أدعية أهل العصمة ومناجاتهم أكثر وضوحاً.. ولأننا نحن الجاهلون محرومون منها (المقامات) فإننا نبادر الى معارضتها...

على كل حال لا يمكن مع روح الإنكار الإهتداء الى طريق يوصل الى المعرفة، أولئك الذين ينكرون مقامات العارفين ومنازل السالكين.. فلأنهم أنانيون مغرورون.. فكل ما لا يعرفونه لا يحملونه على جهلهم (لا يقولون قد يكون صحيحاً ولكنا نجهله) فينكرونه حتى لا تخدش انانيتهم ويخدش عجبهم بأنفسهم «نحن في الاصنام الصنم نفسه» وما لم تتم إزالة هذا الصنم والشيطان القوي من الطريق فلا سبيل إليه جلَّ وعلا وهيهات أن يكسر هذا الصنم ويروض هذا الشيطان.

الخاتمة

بتوفيق من الله سبحانه، الذي هو من وراء كل مقصود تمَّ الانتهاء من هذا الكتاب في تاريخ الخامس عشر من شعبان ١٤١٥ هـ، آملاً من المولى العزيز القدير أن يتقبل هذا العطاء القليل وأن يجعله لي ذخراً ليوم الفاقه حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ولا يمكن احراز ذلك إلا بتوفيق منه سبحانه وتعالى.

المصادر

القرآن الكريم — نهج البلاغة
تصنيف غرر الحكم — لعبد الواحد آمدي
الدليل على موضوعات نهج البلاغة لعلي انصاريان
البحار — للعلامة المجلسي
المصباح — للفيومي
لسان العرب — لابن منظور
الخصال — للصدوق
تسلية الفؤاد — للسيد شبر
الصحيح من سيرة النبي (ص) — للسيد جعفر مرتضى
المعجم المفهرس — لمحمد فؤاد عبد الباقي
الميزان — للعلامة الطباطبائي
عقائد الإمامية — للزنجاني
بلغة الشيعة — للميرزا محسن عصفور
قصار الجمل — للمشكيني
المكاسب — للأنصاري وحاشية كلانتر
الدراية — للشهيد الثاني
فلسفتنا — للسيد الصدر
كمال الدين — للصدوق

معالم المدرستين	للعسكري
مصباح الشريعة	للامام الصادق (ع)
اللمعة الحجرية	للشهيد الثاني
ميزان الحكمة	لري شهري
وسائل الشيعة	للحر العاملي
جامع السعادات	للنراقي
الاختصاص	للمفيد
مكارم الأخلاق	للطبرسي
مفاتيح الجنات	المعرَّب
مفتاح الفلاح	للبهائي
الآداب المعنوية للصلاة	للخميني
أمالي الشيخ	الطوسي
رياض السالكين	السيد علي خان الحسيني
مفتاح الجنات	للسيد الأمين
التنقيح	للخوئي
المراجعات	للسيد شرف الدين
مثير الأحزان	
السيرة الحلبية	
مجمع البيان	للطبرسي
تحرير الوسيلة	للخميني
مجمع البحرين	للطريحي
المسالك	للشهيد الثاني
الكافي	للكليني
من لا يحضره الفقيه	للصدوق
الأخلاق	للسيد شبر
بداية الأخلاق	لمحمد رضا اليزدي

آداب عصر الغيبة للشيخ حسين كوراني
علم النفس الاجتماعي الدكتور حامد زهران
الفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين
البرهان على وجود صاحب الزمان للسيد الأمين
المعجم المفهرس لألفـاظ نهج البلاغة كاظم مهدي ومحمد دشتي
كتاب التعريفات للجرجاني
سيرة المصطفى للسيد هاشم المعروف
بلسم الروح للخميني
الاربعون حديثاً للخميني
كشف المراد للعلامة

فهرس الموضوعات